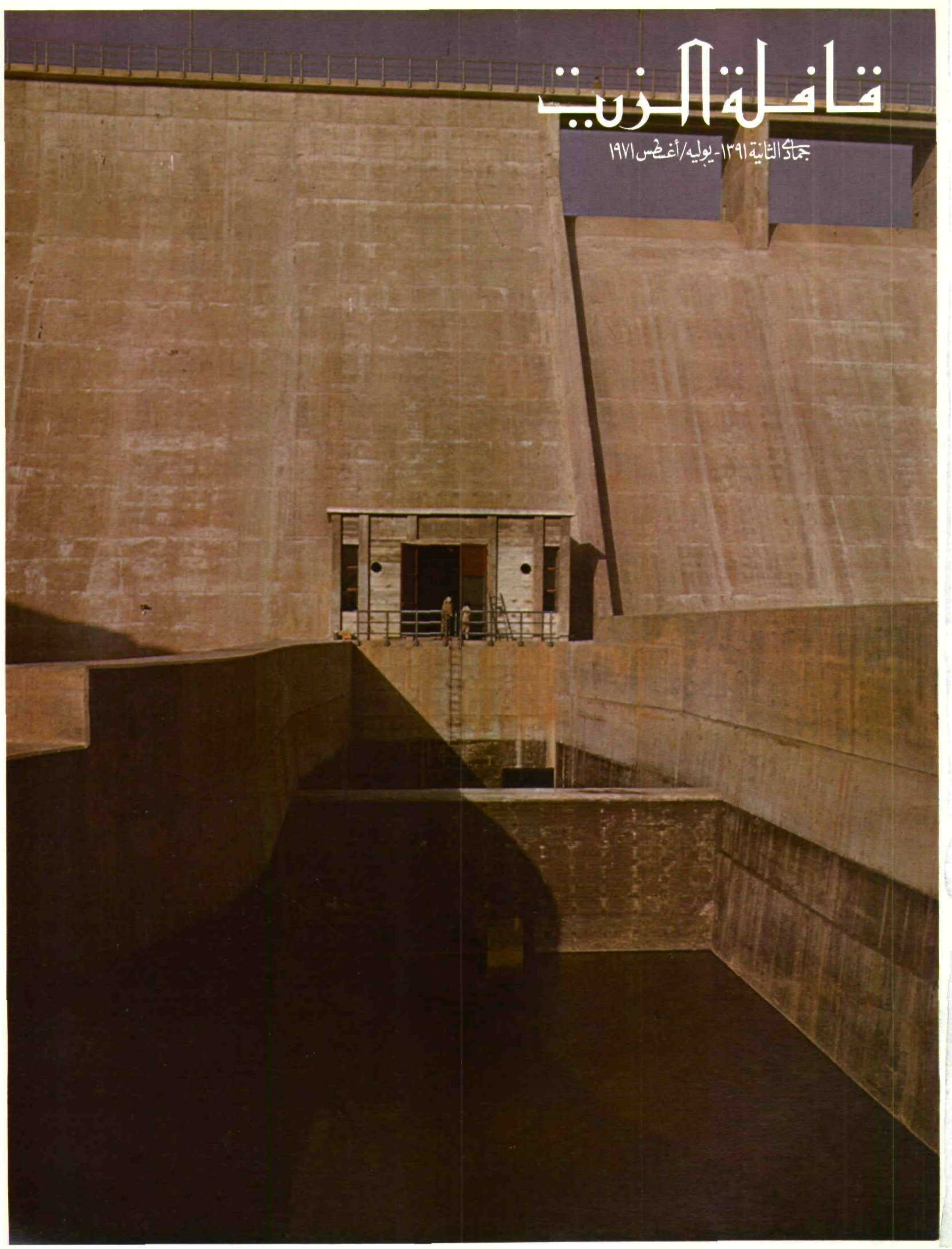
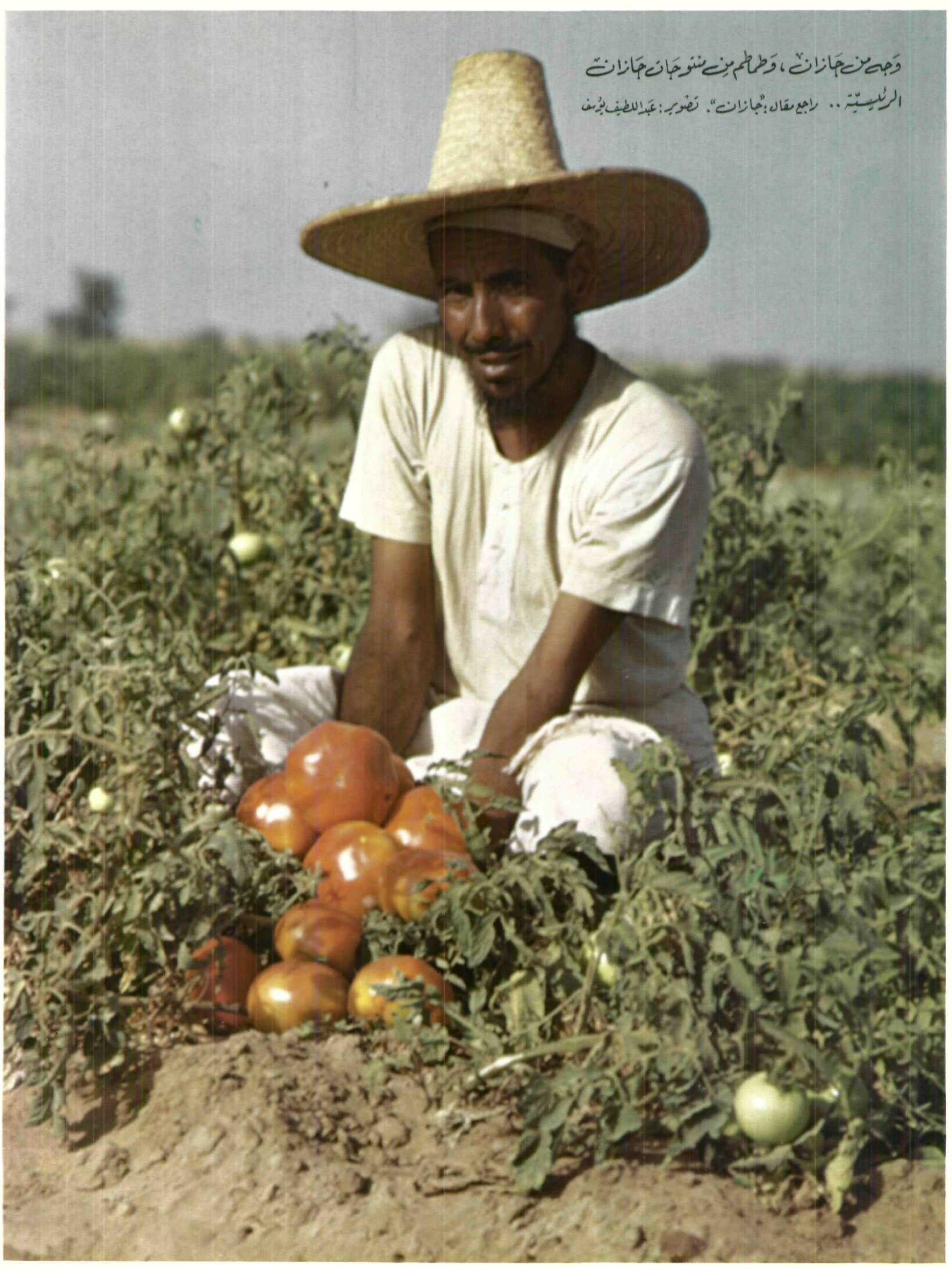


قافلة الزيت

جمادى الثانية ١٣٩١ - يوليه/أغسطس ١٩٧١



وجه من جازان، وطماطم من منتوجات جازان الرئيسيّة .. راجع مقال: "جازان". تصوير: عبد اللطيف يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد السادس المجلد التاسع عشر

تصدر شهرياً عن
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفيها
إدارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

آداب

علوم

استطلاعات

لقاء مع

المدير العام : مصطفى حسن الخان المدير المسؤول : علي حسن قناديلي
رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني ابو كشك

التعليق على صورة الغلاف

جانب من سد وادي جازان ، وهو أضخم سد تم تدشينه في المملكة العربية السعودية حتى الآن .. راجع مقال « جازان » .
تصوير : عبد اللطيف يوسف

الاتجاهات الحديثة في العمل المسرحي في أمريكا

بقلم الدكتور عبد الرحمن ياغي

ليس من شك في أن المدارس الفنية التي نشأت في أوروبا حول الأعمال المسرحية والاخراج الفني ، وهذه الاتجاهات الحديثة في العمل المسرحي .. كان صداها يتردد في انحاء العالم وتتناولها الصحف ودور النشر بالعرض والنقد والتنقيح .. وكانت هذه الأصداء تصل الى اسماع المخرجين في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية .

ولعل «ألان.س . داونر» أن يكون أشد الكتاب الأمريكيين المحدثين اهتماما بالبحوث المسرحية .. فهو ، الى جانب اشتغاله أستاذاً للأدب الانكليزي في جامعة برنستون ، عمل على تأسيس الجمعية الأمريكية للبحث المسرحي ، ثم أصبح رئيسا لتلك الجمعية . وقد ألف حول « المسرحية البريطانية » وحول « المسرحية الأمريكية في خمسين عاما » وحول « فن المسرحية » . ومن هنا فقد كانت لآرائه أهمية خاصة في هذا المجال .

ولقد أثار « داونر » فيما أثار قضية القوى الداخلية التي توثر تأثيرا كبيرا في العمل المسرحي بحيث لا يستطيع أي كاتب مسرحي حديث أن يهمل شأنها .. كما عرض كذلك للقوى الخارجية البعيدة الاتصال بهذا العمل ، ولكنها توثر تأثيرا لا يمكن التغاضي عنه .

فما هي القوى الداخلية ؟ وما هي تلك القوى الخارجية التي يقف عندها « داونر » وقفة طويلة ويوليها أهمية خاصة ؟

ان « داونر » قبل أن يخوض في البحث ، يشير الى أن العمل المسرحي يستقي أهميته الأولى من عملية الاخراج ، وهي التي يطلق عليها اسم التجربة العملية ، ويعلن ان سائر القضايا تأتي في الدرجة الثانية من الأهمية .

ان اخراج المسرحية في رأي « داونر » يقتضي الاهتمام بالمشاهدين الذين يختلفون الى صالة المسرح وقاعاته ويتغيرون من ليلة الى أخرى ، وكأنما لهم دورهم الفعال في المشاركة في اعادة صياغة العمل المسرحي لكي يناسب عملية الاخراج .

لم يعد المسرح مجرد وسيلة من وسائل التسلية أو اللهو ، بل أصبحت له مجالات اهتمام وعناية بحيث يشد الجمهور الى خشبته والاقبال على المسرحية التي يعرضها .. ولقد أصبح جمهور المشاهدين هما من الهموم التي يتعلق بها المشتغلون بالعمل المسرحي .

ومن هنا نرى داونر يعرض للعلاقة التي تربط كاتب المسرحية بالمخرج والمنتج ، حيث تطورت تطورا كبيرا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى . فحين كان « يوجين أونيل » يترقب بفارغ الصبر عملية الاخراج

لروايته « القش — The Straw » في سنة ١٩٢٠ ، جاءه أخوه ليعلن اليه بأن المخرج والمنتج قد حزما أمرهما على احداث تغيير في نص المسرحية وفي بناء أحداثها ، بل قررا ما هو أبعد من ذلك حين عمدا الى احداث تعديل في اتجاه سير احدى الشخوص ليجيء ملائما لمواهب خاصة تتمتع بها احدى الممثلات التي تستعد لاداء دورها في المسرحية ! وثارت ثائرة « أونيل » واستبد به الغضب وأعلن رفضه الحاسم لأي تغيير أو تعديل يمتد الى أي جانب من جوانب مسرحيته ، سواء أكان ذلك في النص أم في الحدث أم في سير الشخوص : « .. ليس لأحد سواي شأن في هذا المجال .. انها مسرحيتي ، وسأقف مدافعا عن كل سطر فيها ازاء أي مساس بها .. » هذا ما كان يجري في حدود سنة ١٩٢٠ ، ولكن أي تغيير طرأ في هذا الشأن بعد أربعين عاما ؟ ما الذي أصاب هذه العلاقة فيما بعد ؟

لقد تطورت هذه العلاقة ، فغدت سببا لاقامة الاجتماعات وعقد المؤتمرات ، وتبادل المشورات بين المخرج والمنتج من جهة ، وبين الكاتب المسرحي من جهة أخرى .. كما غدت فرصة لعقد الاتفاقات واجراء التسويات واحداث التغييرات والتعديلات والحذف والزيادة ان اقتضى الأمر ، بل لقد بلغت هذه العلاقة حداً جعل حتى مكتب صرف التذاكر يقوم بدوره في هذا الشأن حيث يمد هذه الأطراف جميعها بوسائل النصح المختلفة التي أصبحوا ينتظرونها منه ويتلقفونها بكل اهتمام وعناية ، بل امتد اهتمام هذه الأطراف الى كل ما تنشره الصحف في زاوية المسرح وما تشير اليه وكالات الاستثمار !

ولعل معترضا يقول : ان الذين يخضعون لمثل هذه الاتجاهات والتيارات والتأثيرات لا يمكن أن يكونوا من أصحاب القدم الراسخة في النتاج المسرحي الأدبي ، بل ان هذه المؤثرات تمارس ضغطها على الناشئين المبتدئين في الكتابة المسرحية وحدهم . ويورد المعترض مثلا على ذلك ، الضغوط التي خضع لها الكاتب المبتدىء كارها « وليم جيبسون » عندما أخرجوا له مسرحيته « اثنان للأرجوحة — *Two for the Seasaw* » ، حيث كتب عن مدى ما عاناه حتى خرجت مسرحيته في أول عرض لها على خشبة المسرح . غير أن « داونر » يجيب كل معترض بأن الأمر لم يقتصر أثره على المبتدئين الناشئين ، وانما تجاوزهم الى أصحاب الباع الطويلة في الكتابة المسرحية ، ويورد مثلا على ذلك « تنسي وليامز » الذي استجاب لهذه التأثيرات الى درجة أنه أعاد كتابة الفصل الأخير من مسرحيته «قطة فوق سطح حار من الصفيح — Cat on a Hot Tin Roof »حين طلب اليه المخرج ذلك .. بل ان الكاتب الكبير « آرتشيبولد ماكليش » ، الذي نال الجائزة الكبرى لمسرحيته « كتاب أيوب » ، قد أجبرته هذه التأثيرات على أن ينحشر مع المخرج والمنتج لتبادل وجهات النظر ، وليعلن في النهاية أن المؤلف هو آخر من يستجاب لرأيه !

وهكذا ، فقد أصبح الفن المسرحي نتاج تعاون وثيق بين أطراف متعددة ذات مواهب متعددة خلاقة تؤدي بجهودها مجتمعة الى الغاية المرجوة من اخراج مسرحية من المسرحيات على منصة المسرح . ان الأمر لم يعد كما كان في السابق يتحكم به كاتب النص المسرحي ، ويفرض رأيه ووجهة نظره ، وتسخر له جميع القوى الأخرى بحيث تهيأ جميعها لكي تتلاءم وكل عبارة صاغتها عبقريته .

لقد خضع اليوم الكثيرون من كبار الكتاب لتأثيرات هذه القوى الجديدة .. قوى المختصين في اللون وفي التصميم وفي الديكور وفي الضوء وفي الصوت والموسيقى وفي سيكولوجية الجماهير وفي جميع المجالات التي يحتاجها الممثلون ويحتاجها الاخراج الفني بكل أبعاده الآلية والانسانية .. استسلم الكثيرون من كتاب المسرحيات حين وجدوا أنهم لم يتهيأوا لكل هذه الاختصاصات جميعها . حتى الكتاب من أصحاب الملكات الفائقة في مجالات المسرح ، أمثال « أونيل » خضعوا لهذه القوى المؤثرة بعض الشيء .. وكل ما زادوه على الأمر انهم اشترطوا على مخرجي مسرحياتهم أن يتجلوا بالذكاء والفطنة وعمق النظرة والمقدرة على التجدد والرغبة في التعاون الخلاق !

ولم تكن هذه القوى المؤثرة الموجهة الفعالة مقصورة على ما ورد ذكره سابقا ، بل ان الشؤون المالية للمسرح تشكل جانبا مهما في هذه القوى الفعالة التي لها جذورها التاريخية ، حيث واكبت العمل المسرحي منذ نشوئه . ولقد اشتدت وطأة هذه القوى وأصبحت عبئا ثقيلا ، بل غدت مشكلة في أمريكا حين تقلص المسرح وانزوى في أركان منحدرة وزوايا جانبية خاصة ، . ولقد وقع هذا كله على كاهل المسرحيات ، فلم يعد يسمح للمسرحية بأن تواصل العرض على منصة المسرح اذا ما قل عدد المشاهدين لها وتقلصوا .. فانها حينذاك تدرج في سلسلة الاخفاق ، ويوقف عرضها مهما يكن أمرها ، حتى لو كانت تبشر ببذور فنية جديدة جديرة بالنظر والتقدير والاهتمام لدى طائفة مستنيرة من المشاهدين . أما المسرحية التي يهرع لمشاهدتها أعداد كبيرة من المشاهدين ، مهما يكن شأنها من حيث المستوى ، فتدرج في عداد المسرحيات الناجحة ، ويستمر عرضها ما دامت قد أحرزت النجاح الساحق . ولم يعد هناك مجال ، بفعل هذه المؤثرات ، لأن يسمح لمسرحية بالاستمرار في العرض اذا كانت تثير اهتماما لدى عدد خاص محدود من المشاهدين أو اذا كانت ترضي عددا معينا قليلا من النظارة ! من هنا أصبح لزاما على الكاتب المسرحي أن يزيد من اعتماده على شركائه في العمل .. ومن هنا أصبح للشركاء دور أساسي في هذا العمل الفني ، بل أصبح على الكاتب أن يلبي الكثير مما يطلبه اليه شركاؤه وأن يكون في مستوى فني بحيث يتيسر له فهم متطلبات المهنة وأصولها وأبعادها ! فما أكثر ما بذل « أونيل » مثلا في مسرحيته « الرغبة في ظل شجرة الدردار — Desire under the Elms » حين وصف بيتا ريفيا وجعله رمزا في المسرحية .. لقد اضطر حينئذ الى أن يملأ المخطوطة الأولى لمسرحيته برسومات توضح كيفية اقامة ذلك البيت واستخدامه

وكذلك كانت العلاقة بين الكاتب المسرحي « آرثر ميلر » وبين مخرجه .. فقد كان « ميلر »على درجة من الادراك لأبعاد العمل الفني في

الاخراج المسرحي ، بحيث طلب الى مخرجه في احدى المسرحيات رسم خمسة وثلاثين نموذجا توضح مختلف المشاهد الواردة في تلك المسرحية . وقد قال في ذلك : « ليس علي أن أجد حلا لهذا الأمر ، بل الأمر موكول الى الرسام الذي ينبغي عليه أن يجد الحل الميسر لذلك .. » ولقد ترتب على ذلك أمور مالية مبهظة ، ولكنها حين تمت وأنجزت جاءت نموذجا رائعا يكشف جوهر المسرحية « موت بائع — Death of a Salesman » .. حتى ان هذه المشاهد والرسوم التي عملت على كشف الروعة في المسرحية حين أهملت في عملية تحويل المسرحية الى فيلم سينمائي فقدت المسرحية كل فعاليتها وكان تأثيرها ضئيلا !

ولقد أتاحت هذه العلاقة الجديدة فرصة للممثل ، فلم يعد اداة في يد الكاتب المسرحي يطوح به كيف شاء ، وانما أتيحت للممثل الحرية في أن تكون له دوافعه الخاصة التي تدفع به وتحركه لاداء دوره ، وله دوافعه التي تتطور وتتخذ لنفسها خط سير مستقل في حياته الخاصة ، وأصبح حرا في أن يخطط لسيرته في الحياة دون الخضوع للخط الكبير الذي كان يحاول أن يخضعه له كاتبه المسرحي ! بل أصبح للممثل دور أساسي ، وغدا قادرا في بعض الحالات ، على دفع الكاتب لكي يعيد صياغة بعض الفصول أو الخواتم في المسرحيات لتلائم طبيعته . فحين عهد بدور القطة « ماجي » في مسرحية « قطة فوق سطح حار من الصفيح » ، وكان في الأصل دور فلاحة بسيطة ساذجة ذات نوازع ومطامح ومطامع .. حين عهد بدور القطة ، الى الممثلة (باربرا بل جدز) كان لا بد من احداث تغيير أساسي في خاتمة المسرحية وفي شخصية الفلاحة .. فأعيدت كتابة هذه الخاتمة بحيث تلائم طباع الممثلة المشهورة ومزاجها وطريقتها في الاداء وخط سيرها في شخصيتها الفنية ، واذا الفلاحة في المسرحية تتحول الى خادمة صغيرة مستهترة في مدرسة خاصة للبنات ، وذلك لكي يتهيأ لباربرا القيام بدورها على الوجه المطلوب .

ولعل كتاب المسرحيات ، بعد كل هذه الأبعاد المتشابكة الجديدة التي جدت في عملية الاخراج الفني ، وبعد كل هذه التعقيدات التي حدثت في مجالات الفن المسرحي .. لعلهم قد أعفوا من أن يخوضوا فيها ، لئلا يتبع ذلك فوضى في العملية الفنية . غير أنهم ، في مقابل هذا الاعفاء من الدخول في متاهات هذه المسارب وفي مآزق هذه التعقيدات ، سلموا أمرهم وأمر مسرحياتهم الى خبير مختص عليم بأصول هذا الفن وأبعاده ، ولم يعد أحد بقادر على أن يمسك يد هذا الخبير ويحول دون أن يجري التغييرات والتعديلات التي يراها مناسبة في النص لكي يتم اخراجه على الوجه الفني الذي يراه .. فلقد أباح هذا الخبير لنفسه حين عمد الى احياء المسرحيات التاريخية أن يظهر « أورسن ويلز » في الزي الرسمي العصري مع أنه كان يمثل دور « يوليوس قيصر » وقد رمى الخبير من وراء ذلك الى أن يتخذ من هذا التناقض شعارا يناوىء به الفاشية ويفضحها ويكشف قبحها .. وقد أصبحت هذه الطريقة فيما بعد مألوفة ، بل أصبح الأمر كأنما هو الشعار الدارج في اخراج المسرحيات الحديثة !

وهكذا فقد أصبح زمام الأمور في يد هذا الخبير الذي يتضح دوره في المثل التالي .. لقد تقرر اخراج مسرحية « كتاب أيوب » للكاتب « ماكليش » بعد أن كان قد نشرها في شكلها التام ، وبعد أن قامت بتمثيلها مدرسة « بيل » للتمثيل ، وبعد أن مثلت على مسارح أوروبا .. بعد هذا كله تقرر اخراجها على المسرح التجاري في « برودوي » على يد الخبير « كازان » .. فماذا جرى ؟ لقد استغرق العمل عدة أشهر ، وجرت الاتصالات والمشاورات ، وقامت التجارب لهذا الشأن من أجل التهيؤ للعملية الفنية الكبيرة .. وكان أن أعاد « كازان » تشكيل المسرحية من جديد ، وأعاد بناءها الفني ، وأباح لنفسه أن يحذف شيئا من النص الأصلي ، بل طالب باعادة النظر في النص من جديد ، وطلب توضيح الهدف الذي لم يكن على درجة كافية من الوضوح ، على حد قوله ، بل مضى الى أبعد من ذلك فطلب أن يعاد النظر في رسم الخطوط التي تحدد ملامح أحد الشخوص .. وبشهادة النقاد المسرحيين جاء العمل يبعث على الروعة ويثير الاعجاب والتقدير ، وصادف نجاحا باهرا ورواجا منقطع النظير ، حيث أثار عواطف المشاهدين وشد أبصارهم الى منصة المسرح ، وتعلقوا بكل ما يجري فوقها . ولكن كل هذا التغيير جنح بالعمل الى خط سير مخالف ، الى حد ما ، لخط السير الذي رسمه المؤلف ، والذي استهدفه ، ورمى اليه !

من أجل ذلك رأينا « داونر » يعلن أن الخبير في الفن المسرحي يشكل جانبا مهما له وزنه وشأنه في العمل المسرحي ، الى جانب الممثلين والمصممين ، وذلك في تكوين القوى الداخلية التي تتحكم وتؤثر في النص المسرحي ، وتعمل يد التعديل والتغيير واعادة البناء في عملية الاخراج .. ومن هنا كان لهذا كله أثره القوي في الكاتب أو المؤلف ، حين ينوي كتابة المسرحية ، وحين يتمها ، وحين يتهيأ لقبول اخراجها على منصة المسرح ! ولم يعد بمقدور الكتاب المسرحيين التخلص من هذه القوى أو اهمال شأنها .. لقد أصبحت هذه القوى شريكة للكاتب في عمله !

• • •

وبعد هذا يعرض « داونر » للقوى الخارجية ويقصرها على جمهور المشاهدين أو النظارة الذين يختلفون للمسرح ، فيشدهم الى محاور اهتمام عامة ويلهيهم عن محاور اهتمامهم الخاصة . ويقسم « داونر » المشاهدين الى قسمين : قسم صغير يتردد على المسرح ويفد عليه من بين أهالي العاصمة ، وقسم كبير يشكل الأكثرية يفد على المسرح من الريف في غالب الأحيان وقد أقبل على العاصمة سائحا أو باحثا عن عمل .

ولعل محاور اهتمام هؤلاء المشاهدين الخاصة هي المحاور ذاتها الى حد بعيد التي يتجمع عليها الجمهور الأمريكي بأجمعه .. حيث أن هناك فئات احتفلت بالمنافع المهنية وجعلتها محور اهتمامها الخاص وركزت عليها اهتمامها .. وهناك فئات شغلت بالنوازع الطبقية والاجتماعية .. وهناك فئات أولت اهتمامها للروابط السياسية والمطامح الذهنية والمطامع المادية التي تؤلف بين عناصر الأمة على نطاق واسع !

ولكن « داونر » يتساءل : ألم تكن هذه المحاور هي ذاتها محاور اهتمام المشاهدين الأمريكيين على الدوام ؟ ألم تكن هذه الصورة من عدم التجانس قائمة في المجتمع الأمريكي على مر العصور ؟ فما الذي تغير حينئذ ؟

يذكر « داونر » أن شخصية الأمة الأمريكية تتمثل في كثرة هذه التيارات العنصرية والثقافية ولكنه يشير الى أنه في الماضي كان هناك مسرب رئيسي تنتصب فيه كل هذه التيارات فتتلون بلون واحد يشكل وحدة منسجمة ونغما متساوقا واحدا في قلب هذا التنافر الكبير .. كان هناك خط سير رئيسي يستقطب سلوك الأمة بكاملها ، وكان الكاتب المسرحي يلوذ به . ومهما يجمع التطور بخط السير هذا الا أن المؤلف المسرحي لم يكن ليخطئه أو يضل عنه .. بل ما أسهل ما كان يهتدي اليه حين كان يقف في مكان ما ويمد بصره الى الوراء ويستشرق الآفاق الممتدة الى الأمام ! انه كان يرمي الى ما يحس بأنه يشد المشاهدين أو السامعين اليه فيدركون مراميه بسهولة ويسر ! أما اليوم فقد تغيرت الأحوال .. لأن النقلة الكبيرة التي حدثت بسرعة في الحياة الأمريكية الحديثة المعاصرة ، وهذا التغير السريع الذي لا يتوقف . والوثب السريع المتتابع .. قد فوت كله على الكاتب فرصة الاطمئنان الى وجود من يفهمه أو يدرك مراميه اذا مضى بعيدا الى الوراء أو اذا استشرف آفاقا تمتد الى الأمام امتدادا بعيدا واسعا !

ولعل من أجل هذا أحس « داونر » أن الملهاة الأخلاقية والمسرحية الاجتماعية لم يعد لهما مجال ضمن المسرحيات الرائجة في المجتمع الأمريكي ، مع أنهما في نظره تشكلان دعامة المسرح الحديث .. لم يعد هناك متسع من وقت لدى المؤلف المسرحي يمكنه من تمحيص قيم المجتمع التي يسرع اليها التغيير حتى في أثناء رصدها وملاحظتها !

فما موقف المؤلف المسرحي الأمريكي ؟ ازاء هذه التغيرات السريعة والانتقالات المفاجئة والوثبات المتلاحقة في الحياة المعاصرة لمجتمعه ؟

يقول « داونر » انه اكتفى بالكشف عن الروابط العائلية ومضى يتعمقها ، واعتمد في معالجة المواقف الدرامية على النظريات السايكولوجية وعلى الاتجاهات الطبيعية الواقعية !

وما موقف المنتجين الفنيين ازاء هذه الانتقالات السريعة ؟

يقول « داونر » : انهم حاولوا أن يهيئوا للمسرحية آفاقا واسعة ومجالات فسيحة ، وسخروا كل خبراتهم التجريبية في ميادين اللون والضوء والصوت والحركة ، بحيث نتج عن هذا كله أعمال فنية على جانب كبير من الأهمية والروعة مما أكسب المسرح الأمريكي حيوية ونشاطا وتنوعا جعله يتفوق على المسرح في العالم الغربي ، وجعل المشاهدين الأوروبيين يتعلقون بها ، وحمل المنتجين في المسارح الأوروبية على أن يتأثروا بها .. غير أن هناك أمرا تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ، وهو أن هؤلاء المشاهدين المعجبين المأخوذين حين كانوا يتلمسون المعروض ويتلمسون سبب اعجابهم لا يجدون غير الحيوية التي تشيع في العمل أو المنظر الساحر وكأنما ليس هناك من مبرر لهذه الضجة من الاعجاب والروعة التي تأخذ على المشاهد لبه .

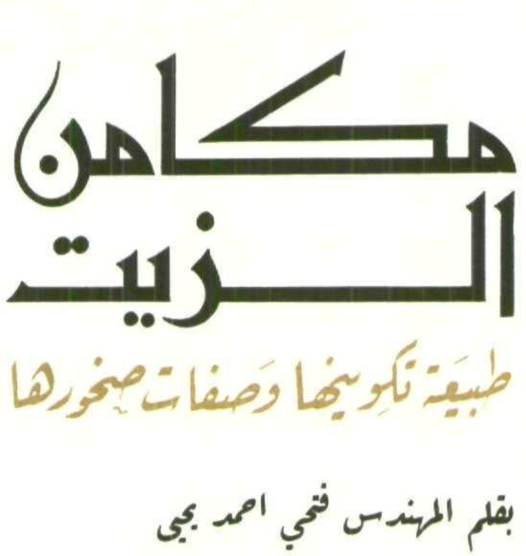
ومن هنا كان الاعتماد كبيرا على اثارة الدهشة من على منصة المسرح .. وكان الاهتمام بجميع الوسائل التي تضع مضمون المسرحية في اطار كاشف . ومن هنا كان لا بد من قيام التعاون التام بين الاخراج والتأليف المسرحي بجميع أجهزته !

ولعل من أروع ثمرات هذا التعاون الناجح مسرحية « موت بائع » الآنفة الذكر حيث بذلت الجهود الفنية ، واتخذت جميع الوسائل والخبرات لحل مشكلة تعدد المشاهد في المسرحية الواحدة حيث تقع احداثها في غرف عديدة من مبنى صغير وتنتقل في الساحة حول البيت .. وفي المطعم .. وفي المكتب .. وفي غرفة الفندق . فما كان من المخرج الا أن أشار الى مختلف المشاهد التي ستمثل على خشبة المسرح ، بوضع طاولات وكراسي كلما دعت الحاجة ، ثم لجأ الى اعتماد حركات في الضوء حينا والى ايقاع ألحان منغمة أحيانا أخرى ، والى اللجوء للبساطة التامة الخالية من كل هذا في حين ثالث .. وبذلك تم له التناسق بين العالم الخارجي وعالم الأحلام ، ومن هنا تم احراز النجاح الباهر للمسرحية !

واخيرا يخشى « داونر » بعد هذا كله من أن يطغى الاخراج الفني على التأليف المسرحي ، ولعل هذا ما أثـار القلق لدى الكاتب « آرتشيبولد ماكليش » حين عرضت مناظر مسرحيته « كتاب أيوب » فقد أحس بأن القوى الداخلية والخارجية في العمل المسرحي قد تعاورت عمله الأدبي ، فحولته الى سيرك مجنون متنقل ! ومع أن جمهور المشاهدين قد استغرقوا في شبه غيبوبة تنويمية وكانوا ذاهلين عن أنفسهم مشدودين الى منصة المسرح ، الا أنهم فقدوا القدرة على استيعاب الحديث الفلسفي العميق الذي يشتمل عليه النصف الثاني من المسرحية .

وكأنما الغرض من عملية الاخراج قد اقتصر على بعث روح الحركة والحيوية في المسرحية أطول فترة ممكنة ! ومن أجل ذلك كان لهذا الضجيج الذي يضج به المسرح ما يبرره .. وكأنما الفن المسرحي قد خرج بالمسرحية من الاحتفال بعظمة الروح الانسانية الى الاحتفال بمغامرات الأبطال ومخاطراتهم .

وهكذا ، أصبح لهذه القوى الفعالة في العمل المسرحي ، سواء منها الخارجية أم الداخلية ، تأثيرها في تشكيل المسرحية أو اعادة تشكيلها من جديد ! ■

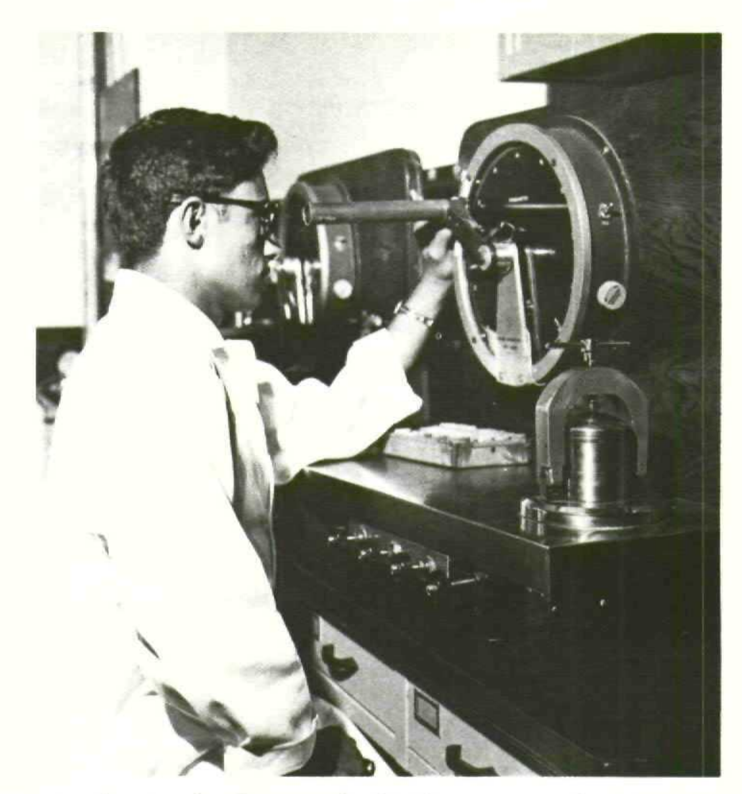


مكامن الزيت

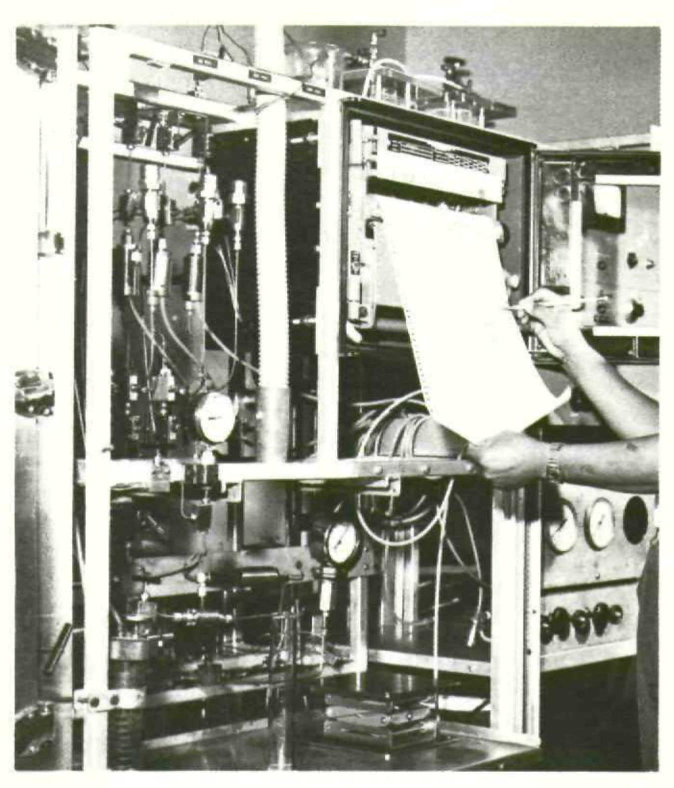
طبيعة تكوينها وصفات صخورها

بقلم المهندس فتحي احمد بجي

طريقة التفجير الزلزالي لقياس الاهتزازات الأرضية، من الوسائل الجيوفيزيائية المتبعة في مجال البحث عن تشكيلات الصخور التي يحتمل وجود الزيت فيها .



قياس مسامات الصخور ، من الخطوات الضرورية التي يُعمد اليها في دراسة مكامن الزيت . ويبدو هنا أحد الأجهزة الخاصة بقياس المسامية التابعة لمختبر الخدمات الفنية بأرامكو ..



تتم عملية قياس درجة النفاذية لعينات الصخور المأخوذة من باطن الأرض خلال مراحل وبأجهزة متنوعة من بينها هذا الجهاز الظاهر في الصورة .

تدل جميع الأبحاث التي قام بها العلماء والباحثون دلالة قاطعة على أن الزيت قد تكون من بقايا الحيوانات والنباتات المائية ، وخاصة البحرية ، المطمورة تحت طبقات الصخر الرسوبية المختلفة وبفعل تأثير الضغط والحرارة الشديدين على مر السنين الطويلة تحولت بقايا تلك الكائنات الحيوانية والبحرية الى هيدروكربونات ، أخذت بفعل العوامل الطبيعية تتجمع وتنتقل بين مسامات الصخور الرسوبية وفجواتها ، حتى انتهى بها المطاف في النهاية لتنحصر في أحد التشكيلات الجيولوجية ذات الضغط المنخفض نسبيا .

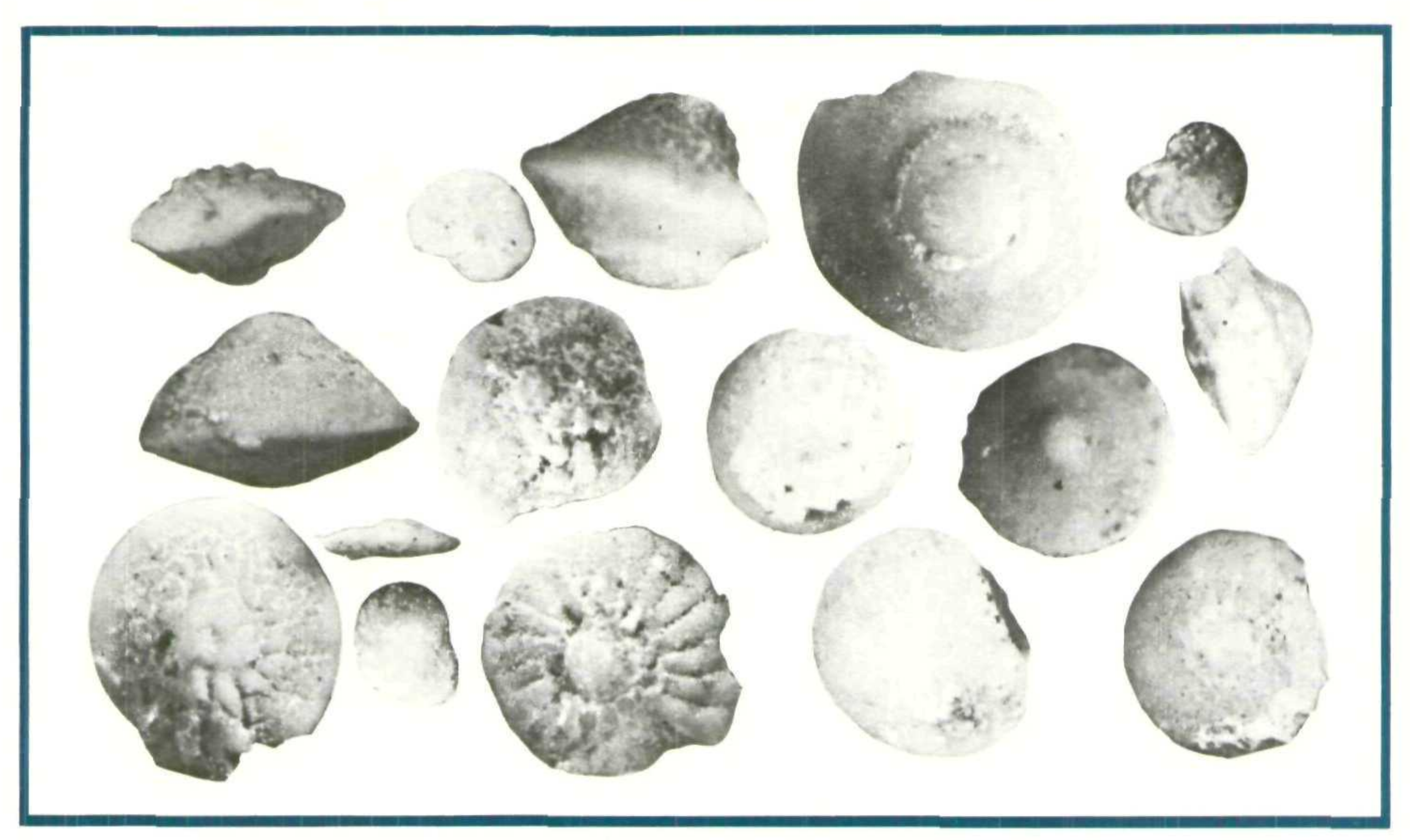
ان الزيت في العادة لا يوجد في المنطقة التي يتكون فيها ، فهناك « الصخر الأم – Source Rock » الذي قد تكون فيه ، والذي هو عبارة عن نوع من الصخور الدقيقة الحبيبات ، مثل السجيل « Shale » ، ونادرا ما يجري الحفر في مثل هذه الصخور الأم . ان كمية انتاج الزيت فيها ، ان وجد ، يكون قليلا ، بل يكاد يكون معدوما .

وأما الصخور الحاملة للزيت فيطلق عليها جيولوجيا اسم « صخور المكامن Reservoir Rocks » وتتكون في معظمها من صخور رملية أو صخور جيرية مسامية ، ومن أبرز خصائصها انها ذات نفاذية ومسامية عاليتين ، وتحميها من الأعلى ومن الجوانب صخور صلبة متماسكة لا ينفذ منها أي سائل أو غاز ، ويعرف هذا النوع من الصخور الصلبة باسم « صخر الغطاء Cap Rock » ومثال ذلك « صخر الانهيدرايت Anhydrite » والسجيل « Shale » . وعندما يتجمع الزيت ، والغاز ، والماء تحت صخر الغطاء هذا ، فانه يمكن التمييز بينها جميعا عن طريق التفاوت في وزنها النوعي . فالغاز ، وهو الأخف ، يتجمع في أعلى التشكيل الجيولوجي ، والماء في الطبقة السفلى . أما الزيت فيكون محصوراً بينهما . وفي كثير من الحالات ، يكون الغاز مذابا في الزيت ، كما هي الحال في معظم مكامن الزيت في المملكة العربية السعودية .

طبيعة تكون مكامن الزيت

تعتبر الرسوبات البحرية الكامنة في الصخور الرسوبية ، والتي تغطي أكثر من ثلث مساحة سطح المعمورة اليوم ، من الدلائل الرئيسية التي يعتمد عليها رجال الزيت في البحث عن البترول .

بيد أن قسما كبيرا من هذه المساحة الشاسعة يخلو من وجود تشكيلات جيولوجية حاملة للزيت ، وذلك اما لاحتواء تلك الصخور الرسوبية على نسب ضئيلة من المواد العضوية والبقايا البحرية ، واما



مجموعة من الحفريات الدقيقة « مستحاثات » المختلفة ، التي يعكف الجيولوجيون على دراستها وتصنيفها لتقدير أعمار الصخور التي تكون الزيت في جوفها .. وهي مكبرة نحو ٢٥ مرة ..

لأن الهيدروكربونات التي قد تكوّنت في منطقة ما تكون قد تسربت عبر الشقوق والصدوع الى سطح الأرض ، وضاعت هباء دون الاستفادة منها .

ولعل الصخور الرملية والجيرية (الكلسية) و « الدولوميتية – Dolomites » وجميعها من الصخور الرسوبية ، من أنواع صخور المكامن المتعارف عليها علميا . ونادرا ما تكون صخور المكامن صخورا « نارية – Igneous » أو صخورا « متحولة Metamorphic ». ويمكن تقسيم صخور المكامن بالنسبة الى أصل تكوينها الى ثلاثة أنواع هي : الصخور المكونة من فتات وقطع الصخور الصغيرة ، والصخور المكونة كيميائيا أو بفعل الأحياء الدقيقة ، والصخور النارية أو المتحولة .

ويتكون النوع الأول من الصخور من جزئيات صخرية صغيرة وكسور بعض المعادن والصخور القديمة التي انفصلت عن الصخور الأولية بفعل عوامل التعرية . وتختلف طبيعة هذه الصخور عن طبيعة الصخور الأخرى باختلاف موادها وبتنوع الامتدادات والمناطق الصخرية التي مرت بها قبل أن تستقر وتترسب ، وكذلك تختلف باختلاف العوامل المناخية التي تعرضت لها أصلا ، ومراحل الحياة البيولوجية التي مرت بها آنذاك ، وبالتالي باختلاف المنطقة التي حدث فيها الترسب . وعلى ضوء هذه الخصائص الجيولوجية نجد ان تكوينات هذه الصخور تختلف عن غيرها من حيث تكوينها الكيميائي . ومعظم هذه الصخور رملية أو جيرية ، كالصخور الرملية المنتجة في حقل « البرقان » في الكويت .

وأما النوع الثاني من الصخور المكونة كيميائيا وبفضل الأحياء الطبيعية ، فانها عبارة عن مواد معدنية ترسبت في نفس المكان الذي تكونت فيه تلك الصخور ولم تتوفر لها العوامل الطبيعية الكفيلة بنقلها أو تحريكها من منطقة الى أخرى كما هو الحال في النوع الأول من الصخور. وينتمي الى هذا النوع من الصخور، الصخور الجيرية والدولوميتية ، وفي بعض الأحيان تتكون هذه الصخور من الطباشير والطين الخزفي « Marl » ، وترجع أهميتها الى كونها تشكل صخور المكامن في أكثر من نصف حقول الزيت في العالم . ومعظم صخور مكامن الزيت في منطقة الخليج العربي ولا سيما في حقلي بقيق والغوار بالمملكة العربية السعودية وبعض الحقول الواقعة في ايران والعراق ، معظمها من الصخور المكونة كيميائيا .

أما النوع الثالث وهو الصخور النارية أو المتحولة أو الخليط منها جميعها ، فان وجود الزيت فيها يكون عادة في « الفوالق – Faults » أو محصورا في الشقوق الطبقية ، ومثال ذلك صخور المكامن الواقعة في منطقة جبال « روكي – Rocky » بالولايات المتحدة الأمريكية .

هذا ، ومن بين الخطوات الأساسية التي يتبعها مهندسو البترول في التنقيب عن الزيت دراسة

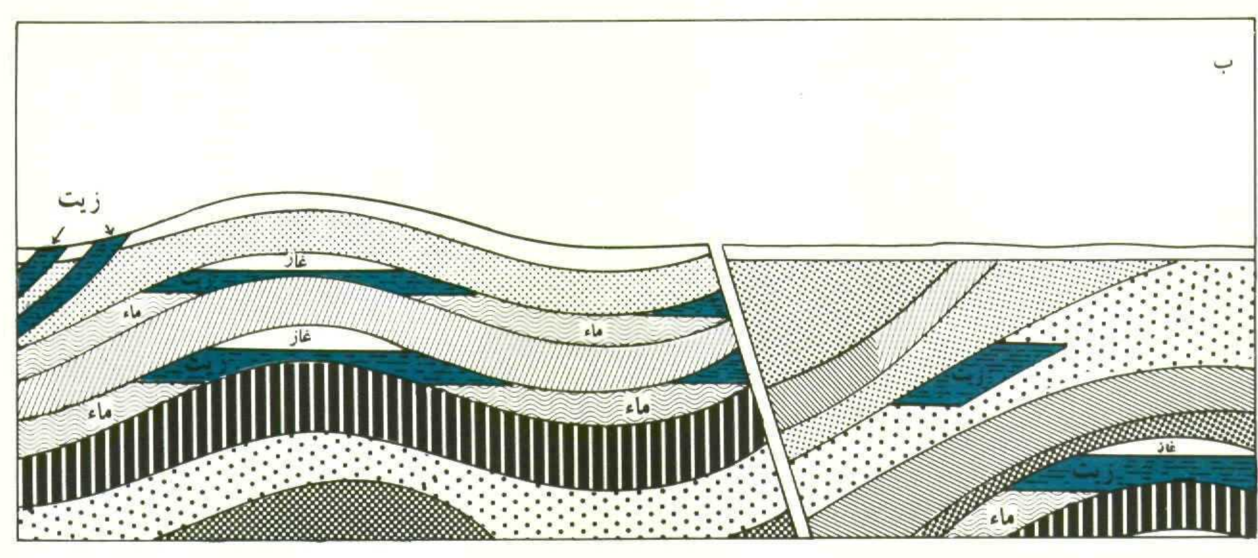
بعض أشكال مكامن الزيت الهامة .

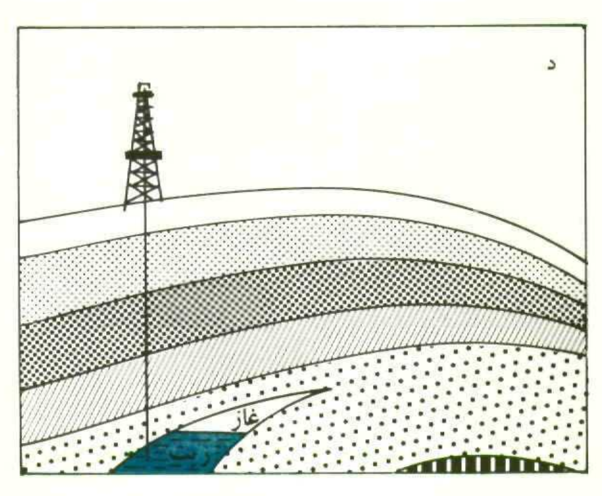
أ – مكمن محدب .. وهو عبارة عن انثناء تصاعدي للصخور المسامية بشكل قبة تشبه طاسا مقلوبة تحت صخور غير مسامية .

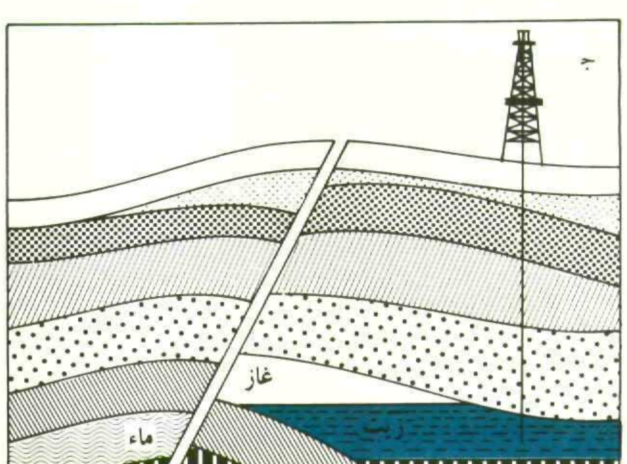
ب – يكمن الزيت في عدة طبقات يعلو بعضها بعضا في الحقل الواحد أحيانا .

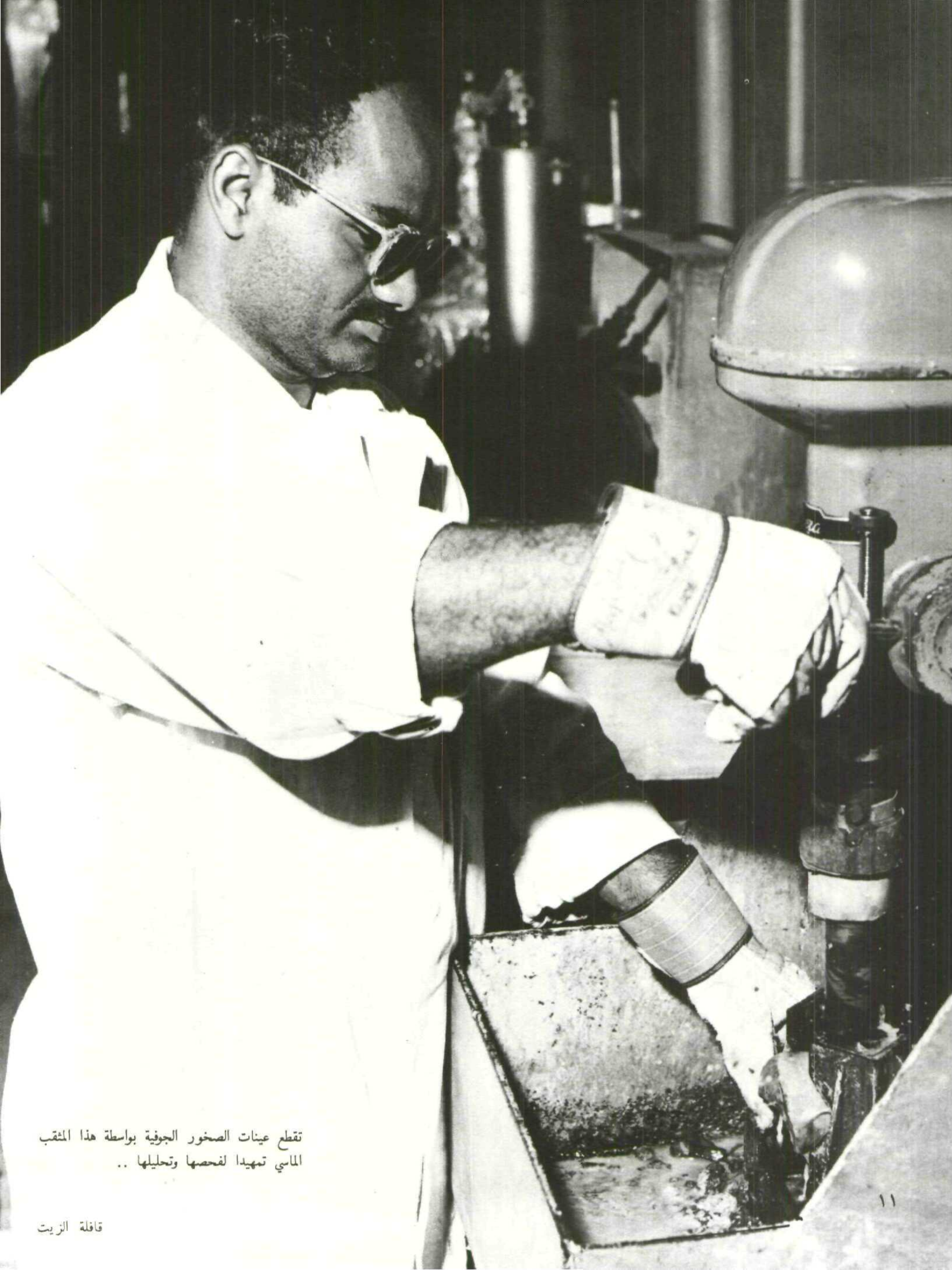
ج – مكمن مصدع .. ويتمثل في انكسار في الطبقة الصخرية يسببه انسداد طبقة الصخور المسامية المنحرفة تصاعديا حيال طبقة غير مسامية ..

د – مكمن طبقي .. ويتشكل عندما توجد طبقة من الصخور المسامية محصورة بين طبقات من الصخور غير المسامية .









تقطع عينات الصخور الجوفية بواسطة هذا المثقب الماسي تمهيدا لفحصها وتحليلها ..

تكوّن المعادن في صخور مكامن الزيت تفصيليا ، ولا سيما الأساسية منها ، ثم يلي ذلك دراسة طبيعة تكوّن المعادن الثانوية وتأثيرها على درجتي المسامية والنفاذية لهذه الصخور . وكذلك يتم تحديد «التوزيع الحبيبي - Grain Distribution» لها . كما تتم دراسة أشكال الصخور وأحجامها المختلفة ومعرفة مدى تأثير كل ذلك على الانتاج . وتتم هذه الدراسات عادة باجراء سلسلة من الفحوص والتحاليل المختبرية على عينات صخرية « Cores » تستخرج من باطن الأرض أو على فتات الصخر الذي يحصل عليه أثناء عملية الحفر .

وقد يحتوي صخر مكمن الزيت على أكثر من طبقة حاملة للزيت يفصلها عن بعضها طبقة أو طبقات صخرية أخرى تكون في العادة صلبة ومتماسكة جدا . وقد يتواجد ، في بعض حقول الزيت ، أكثر من مكمن ، وعليه يمكن انتاج الزيت من مكمنين مختلفين في الوقت نفسه من بئر واحدة .

صفات صخور المكامن

ذكرنا فيما مضى ان صخور المكامن تتكون من صخور رملية أو جيرية ذات مسامية « Porosity » عالية ، قد تصل أحيانا الى ٣٠ بالمائة من حجم الصخر ، وذات نفاذية « Permeability » معتدلة .

والمسامية رياضيا هي عبارة عن الكسر العشري الناتج من قسمة مجموع حجم الفتحات والفجوات والمسامات الموجودة في الصخر على حجم الصخر الكلي . وفي هذه المسامات والفتحات يتجمع الزيت ، ولا سيما في أعلى التشكيل الجيولوجي اذا لم يكن هناك غاز طليق ، والا فان الزيت يكون متجمعا ما بين الغاز والماء .

والنفاذية صفة مهمة جدا بالنسبة للصخور التي تتكون منها مكامن الزيت . وحينما تكون فجوات صخر المكمن ومساماته متصلة بعضها ببعض ومتماسكة فان ذلك يساعد على تدفق الزيت الى سطح الأرض ، وبالتالي يجعل الانتاج اقتصاديا . ويشار الى النفاذية على انها صفة يمكن بواسطتها تحديد معدل مرور السائل من خلال مسامات صخر المكمن تحت تأثير ضغط معين ..

وقد تحتوي بعض صخور المكامن على كميات ضخمة من الزيت بين فجواتها ، وتكون ذات مسامية عالية ، ولكن ما لم يكن هناك اتصال بين تلك الفجوات والمسامات ، فان الزيت يعجز عن التدفق من الصخر الى سطح بئر محفورة ، وبالتالي يتعذر على رجال الزيت انتاج كميات كبيرة منه لأن الزيت في هذه الحال يكون موزعا في كتل الصخر المتباعدة .. ويقال حينذاك ان درجة نفاذيته منخفضة .

يستدل مما سبق على ان وجود حقل للبترول لا يعتمد فقط على وجود الزيت واكتشافه ، ولكن أيضا على وجود التشكيل الجيولوجي المناسب ، وعلى درجتي المسامية والنفاذية لصخور المكمن ، وكذلك على وجود صخر الغطاء «Cap Rock» في أعلى التشكيل وعلى جوانبه ، وذلك لمنع تسرب الزيت والغاز الى خارجه .

ان هذه التشكيلات الجيولوجية السالفة الذكر يطلق عليها اسم المصائد أو المحابس البترولية « Oil Traps » ، وهي توجد عادة على أشكال وحجوم مختلفة وأنواع متباينة وعلى أعماق تتراوح بين بضعة أمتار وبضعة أميال في باطن الأرض ، وقلما يكون هناك على سطح الأرض أي دليل يشير الى وجود تشكيل جيولوجي يحتمل وجود الزيت فيه . ولهذه المصائد أسماء عديدة مختلفة منها التشكيل القبوي أو المحدب « Anticline » وهو الذي يعتبر من أهم التشكيلات الجيولوجية في انتاج الزيت العالمي . ومما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان معظم مكامن الزيت في الشرق الأوسط من النوع القبوي ، ومثال ذلك حقول الزيت في كل من أبي حدرية والفاضلي وبقيق بالمملكة العربية السعودية ، وحقل البرقان في الكويت، وحقل كركوك في العراق . ومن المصائد الجيولوجية التي يتجمع فيها الزيت أيضا « الفوالق — Faults » وكذلك« المصائد الطبقية - Stratigraphic Traps » و « الشعاب الجيرية — Reefs » .

ويمكن تقسيم المصائد البترولية الى ثلاثة أنواع رئيسية ، هي : المصائد التركيبية « Structural Traps » وهي أكثر المصائد وضوحا واستنتاجا على الخرائط الطبوغرافية التي تساعد مساعدة فعالة في الكشف عن الزيت والغاز . وتنشأ هذه المصائد من وجود تشوه محلي يصيب المكمن وصخر الغطاء ، وذلك بفعل بعض العوامل المحلية المغيرة للتكوين الأصلي. ومن هذه العوامل « الطي - Folding » أو « التصدع — Faulting » أو كلاهما معا . وقد تنشأ المصائد (المحابس) أحيانا نتيجة نتوءات محلية تنبعث من صخور عميقة الأساس مخترقة الرواسب التي تعلوها ، وتوجد هذه النتوءات بكثرة في تجمعات الملح الصخري حيث تشكل قبابا محلية حابسة للزيت .

المصائد الطبقية « Stratigraphic Traps » : وهي المصائد البترولية التي تتكون نتيجة للتغير الطبقي كالتغيير السطحي ، أو نتيجة للتغير الصخري كالتفاوت في درجتي المسامية والنفاذية بين منطقة وأخرى من المناطق الصخرية الحاملة للزيت ، أو كلاهما معا . بيد أنه قد يطرأ على الطبقات الرسوبية تغيير جانبي في خصائص تركيبها الحجري أو قد تتلاشى هذه الطبقات ، وتظهر من جديد في مكان آخر كنوع آخر من الصخور . وقد يتجمع الزيت أيضا في مصائد مكونة من كتل « رملية عدسية — Sand Lenses » محصورة حصرا تاما في رواسب محكمة التماسك.

المصائد المختلطة « Combined Traps » : وهي المصائد التي تميل صفاتها الى ما بين المصائد التركيبية والمصائد الطبقية . فقد تنشأ تجمعات الزيت في مصائد ذات صفات مختلطة ، وذلك لأنها نشأت باقتران اثنتين أو أكثر من هذه المصائد بعضها ببعض . غير ان بعض هذه المصائد يصعب التمييز بينها وقد تكون امتدادات بعض التشكيلات الجيولوجية على درجة من التعقيد أحيانا بحيث يضطر المهندسون لحفر عدة آبار قبل التأكد من احتمال وجود الزيت فيها .

تجمع الزيت والغاز

من المعروف علميا ان معظم الفجوات والفتحات والمسامات في صخور المكامن يكون مشبعا بالماء قبل تحرك الزيت والغاز واحلالهما محله . ويحدث ذلك نتيجة لما يتمتع به الزيت والغاز من خصائص طبيعية . فالوزن النوعي لكل من الزيت والغاز أخف من الوزن النوعي للماء . غير ان الماء يظل يشكل عاملا مهما ، في تحسين خواص صخور مكامن الزيت . فهو يذيب بعض العناصر الموجودة في الصخور الكلسية (الجيرية) أو الرملية ، وذلك بتحريكها من منطقة الى أخرى ، مما يؤدي الى زيادة درجة المسامية



رسامان جيولوجيان من قسم رسم الخرائط بأرامكو يستعرضان خريطة جيولوجية لمنطقة جرى مسحها . وهي من الخرائط التي تبين تكوينات الصخور وتشكيلاتها ، والتي يستعين بها مهندسو البترول في حقل البحث والتنقيب عن الزيت .

في الصخر ، وبالتالي الى الحفاظ على وجود اتصال مستمر بين فجوات الصخور مما يسهل تدفق الزيت وحركته ..

ويطلق على المرحلـة التي تبدأ فيها المواد الهيدروكربونية بالتحرك من الصخر الأم « Source Rock » الى صخر المكمن ، اسم « التحرك الأولي — Primary Migration » ، وأما التحرك الأخير الذي يتم فيه تركز وتجمع هذه المواد في أحواض ضخمة فيطلق عليه اسم « التحرك الثانوي — Secondary Migration » ، وقد يكون اتجاه هذا الانتقال أو التحرك رأسيا أو جانبيا عبر مسافات تتراوح بين جزء من الميل الواحد وعدة أميال .

وهنالك مجموعتان من النظريات توضحان مرحلة تحرك أو انتقال الزيت ، وتعزو احدى هاتين المجموعتين تحرك البترول مع المياه الجوفية خلال سريانها في الأعماق من تشكيل الى آخر ، الى وجود كميات صغيرة من الزيت والغاز في مياه بعض الينابيع ، مما يجعل في مقدور المياه أن تحمل الزيت والغاز معا مذابين فيها تحت ضغوط عالية .

وأما المجموعة الثانية من النظريات فانها تعزو تحرك الزيت والغاز لقوة دفعها الذاتية ، غير أن واحدة من هذه المجموعة من النظريات تعزو هذا التحرك الى الخاصة الشعرية والتوتر السطحي والذي بموجبه يتم دفع الماء الى المسامات الضيقة الكثيرة الانحناءات واخراج الزيت منها . وهناك أيضا نظرية التعويم (أي بالنسبة للوزن النوعي) التي يتم بواسطتها تواجد الغاز في أعلى التشكيل الجيولوجي ، يليه الزيت فالماء .

هذا ، ويمكن للزيت والغاز أن يجتمعا معا اذا كانت هنالك تكوينات تحوي مسامات يتصل بعضها ببعض أو شقوقا وفراغات ، واذا كان يوجد في أعلى صخر المكمن تكوين أصم (مثل السجيل أو الأنهيدريت) فان السائل لا ينفذ من خلاله ، ويدعى هذا التكوين عندما يكون فوق صخر المكمن مباشرة بـ « صخر الغطاء » أو « صخر السقف » ، وأخيرا اذا كان هنالك حاجز اقفال أي تشكيل جيولوجي يمنع تسرب السوائل جانبيا

كأن يكون صخر المكمن وصخر الغطاء في شكل مقعّر بالنسبة الى الناظر اليه من أسفل .

لقد كانت نظرة رجال الزيت ، في مستهل ظهور هذه الصناعة الى حيز الوجود ، الى استغلال آبار الزيت نظرة محدودة . فقد كان يتم حفر آبار الزيت ، واذا ما تدفق الى السطح كان يجري انتاجه بأعلى طاقة ممكنة . وعندما كان هذا الانتاج يقل ، تثبت المضخات على فوهة البئر لتعمل على زيادة الانتاج ، وحالما تصبح هذه العمليات غير اقتصادية فانها توقف ، ويأخذ العاملون على الانتاج في البحث عن حقول أخرى جديدة ، حيث يتم حفر آبار جديدة ، وهكذا . مع العلم أن معظم الزيت الموجود في المكمن الأول لم يستغل استغلالا كاملا نظرا لعدم توفر الوسائل الفنية حينذاك ، وبذلك يبقى الزيت في الأعماق بانتظار محاولات فنية جديدة تستهدف رفع مستوى الضغط في المكامن ، وذلك بواسطة حقن الماء والغاز وغير ذلك من العمليات .

لقد توصل المهندسون والجيولوجيون العاملون في صناعة النفط خلال الثلاثين سنة الماضية ، الى تقدير كميات الزيت والغاز الموجودة في أي مكمن جوفي بدقة كبيرة ، ويتوقف الحصول على هذه الكميات من الزيت والغاز على عدد الفجوات والمسامات الموجودة في صخر المكمن ، وطبيعتها وأستمرارية اتصالها بعضها ببعض ، وكذلك على التشكيل الطبيعي والكيميائي للصخور . كما يعتمد ذلك على تشكيلات صخر المكمن في حقل البترول لهذا أو ذاك . وكذلك يعتمد على القوى الطبيعية الموجودة أو التي يمكن ايجادها لدفع الغاز أو الزيت وتحريكهما من خلال المسامات الصخرية ، وعلى كمية المياه الجوفية التي تتواجد في جميع صخور المكامن . وتكون في العادة مرافقة لتحركات الزيت وانتقالاته من منطقة الى أخرى في أوائل تكوينه . وأخيرا فان كمية الزيت والغاز التي يمكن انتاجها من أي مكمن ، تعتمد أيضا على الصفات الطبيعية والكيميائية للزيت والغاز على حد سواء .

الاستكشاف والتنقيب

تنحصر المهمة الرئيسية لطرق الاستكشاف في مجال البحث عن الزيت في الحصول على الحقائق والدلائل الطبيعية للظواهر الجيولوجية التي تقترن بتجمعات الزيت . ومن هذه الأساليب والوسائل ما يتم تطبيقها على سطح الأرض ، ومنها ما يتم تحت سطح الأرض . فقبل البدء في التنقيب في مساحة ما يجري تصوير هذه المنطقة من الجو ، حيث تلتقط صور عديدة ومتداخلة . وعلى ضوء دراسة هذه الصور دراسة مجسمة يتم وضع خريطة طبوغرافية لتضاريس السطح في تلك المنطقة ، ومنها توضع خريطة جيولوجية تبين ملامح السطح الجيولوجية التي يمكن مشاهدتها من الجو . ولذلك فانه لم يعد هناك سبب يحمل المساحين أو الجيولوجيين على التخبط في الصحاري أو الأدغال من أجل التنقيب عن الزيت ، كما كان الأمر في الماضي . ولقد بلغت فائدة المسح الجوي هذا حدا أصبح معه من المعتاد اعادة تصوير المناطق التي جرت فيها عملية الاستكشاف ، وذلك من أجل تقييمها ثانية .

فمن هذه المعاينات والدراسات التي تجرى على سطح الأرض يعمد الرسامون الى وضع خرائط جيولوجية دقيقة لنتوءات الصخور في المنطقة المعنية . وتضم هذه الخرائط معلومات وافية عن منحدرات الجبال وضفاف الأنهار ، ومقدار ميل طبقات الصخور « DIP » . وبالاضافة الى هذه المعلومات تسجل الخصائص الطبيعية للصخور ، وتؤخذ منها عينات مختلفة لتحليلها ودراستها . أما في المناطق المغطاة بالرواسب السطحية ، حيث تكون الدلائل الطبيعية للظواهر السطحية فيها نادرة أو غامضة ، فان الجيولوجيين يلجأون عادة الى حفر عدد من الحفر والثقوب على أعماق متفاوتة لاستخراج مقاطع جوفية من الصخر ، وذلك بغية دراستها ومعاينتها ، وتحليل خصائصها .

وعندما تكون التشكيلات الجيولوجية مغطاة برواسب تجمعت منذ القدم ، فقد يكون من المتعذر على الوسائل الجيولوجية الكشف عن هذه التشكيلات .. وفي هذه الحال يلجأ الى استخدام الوسائل الجيوفيزيائية لا سيما في الأماكن التي لا يدل ظاهرها على وجود تشكيل جيولوجي في باطنها ، مثل الصحاري والمستنقعات . ولعل من أهم هذه الوسائل الجيوفيزيائية المتبعة في مجال البحث عن تشكيلات الصخور التي يحتمل وجود الزيت فيها : طريقة قياس الجاذبية ، وطريقة قياس المغناطيسية ، وطريقة التفجير الزلزالي لقياس الاهتزازات الأرضية اما بتسجيل الانعكاسات ، أو الانكسارات الصوتية ، ثم الطرق الكهربائية .

وعند دراسة المعلومات التي تم جمعها في منطقة معينة ، يبدأ بوضع الخرائط المختلفة لتكوينات الصخور وتشكيلاتها ، وذلك تمهيدا للبحث عن التشكيل الجيولوجي الذي يحتمل وجود الزيت فيه.

ومن بين الخرائط الأساسية التي يعدها الرسامون الجيولوجيون لأي منطقة جرى مسحها ، الخرائط الانشائية (البنيانية) للصخور وقطاعاتها ، وخرائط تحديد سمك الطبقات ، والخرائط الجيوكيميائية أو الجيوفيزيائية ، وخرائط اختلاف الميزات الحجرية ، وغيرها من الخرائط التي يستعين بها مهندسو البترول في حقل البحث والتنقيب .

ومهما يكن من أمر فان اللجوء الى حفر آبار استكشافية،عملية لا بد منها للتأكد من وجود تشكيلات جيولوجية حاملة للزيت . فبعد أن يقرر المنقبون الموقع الملائم للحفر يُباشَرُ في عملية الحفر ، واذا ما تبين لهم أن هذه البئر غنية بالزيت وأن عملية الانتاج منها اقتصادية أطلقوا عليها اسم « بئر الاكتشاف » . وكثيرا ما يصاب الحفارون بخيبة أمل في أعقاب عملية الحفر بعد أن يتبين لهم عقم محاولاتهم فتذهب جهودهم المضنية مع أدراج الرياح ، دون ما جدوى فيجددون محاولاتهم في مناطق أخرى بحثا عن الزيت ■

تصوير : عبد اللطيف يوسف ، وشيخ أمين

شيء من الفكاهة في الأدب العربي

بقلم الاستاذ الراحل محمود الشرقاوي

هُنا في الحياة الأدبية ، كما في الحياة نفسها ، ألوان من العبث منها « المجون » ، وهو كما يقول الصحاح والقاموس « ألا يبالي الانسان بما يصنع أو يقول » ، ومنها « المزح » وهو الدعابة والفكاهة ، يقال : « فكه الرجل من باب سلم فهو فكه اذا كان طيب القلب مزّاحا » . « .. أو يحدّث أصحابه فيضحكهم » ، ولعل أصله ، كما أشار القاموس المحيط ، من تلون العنب ، ومزّح العنب يمزح : لوّن .

وليس مما يعيب الكاتب أو الرجل أن يكتب أو يقرأ من هذه الفكاهة شيئا ، بل ان الأدب العربي فيه شيء كثير من هذه المفاكهات شعرا ونثرا تناقله الأدباء وتحدثوا به ودوّنوه . ليس ذلك معيبا ولا مسقطا لقدر الرجل ما دام لا يخرج به عن الحد ، والمثل العربي القديم يقول « كل شيء اذا زاد عن حده ، انقلب الى ضده » ، بل لعل في قليل من المزح جلاء العقل ، كما قال أبو فراس :

أروّح القلب ببعض الهزل ... تجاهلا مني بغير جهل
أمزح مزح أهل الفضل ... والمزح أحيانا جلاء العقل

وقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لحنظلة : « ساعة وساعة » . ويقول الامام علي رضي الله عنه : « روّحوا القلوب تع الذكر » ويقول ابنه الحسن : « هذه القلوب تحيى وتموت ، فاذا حييت فاحملوها على الناقلة ، واذا ماتت فاحملوها على الفريضة » .

وابن عباس ، ويسمونه ترجمان القرآن ، كان اذا جلس مع أصحابه حدّثهم ساعة ، ثم قال : حمضونا ، فيأخذ في أحاديث العرب ، ثم يعود يفعل ذلك مرارا ، ثم يقول لأصحابه : « هاتوا من شعركم هاتوا من حديثكم فان الأذن مجّاجة والقلب حمِض » .

وكان الزهري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « هاتوا من طرفكم ، هاتوا من أشعاركم ، أفيضوا في بعض ما يخفف عليكم وتأنس به طباعكم ، فان الأذن مجاجة والقلب ذو تقلّب » .

والامام « ابن الجوزي » ، المحدث والفقيه ، كان يقول : « ان النفس قد تملّ من الدؤوب في الجد ، وترتاح الى بعض المباح من اللهو . »

وقد ألف الامام « ابن الجوزي » في القرن السادس الهجري كتابا كله فكاهة وملح سمّاه « أخبار الحمقى والمغفلين » .

وعند الجاحظ ، في كتابه « البيان والتبيين » ، وغيره — نجد فصولا جميلة شيقة من هذا الهزل الذي يروّح القلب ، ولا يخدش الكرامة ، والذي فيه جلاء العقل .

وألف بهاء الدين العاملي كتابا أيضا أسماه « الكشكول » كما ألف شهاب الدين الأبشيهي كتابا آخر مماثلا سمّاه «المستطرف في كل فن مستظرف» .

ولكن كتب « أخبار الحمقى والمغفلين » ، « وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » و « الكشكول » و « المستطرف » وما يماثل ذلك لا أجد أنها تدخل في باب الأدب ، بل هي أخبار ونوادر ، بعضها صحيح ، وبعضها موضوع ، وبعضها يتزيّد فيه ، وليس فيها شيء من الموهبة الفنية ، الا أن تكون في هذه الزيادة التي لا بد أن يكون مزيدها فيه كثير من الذكاء والفهم وعلى قدر غير قليل من الموهبة الأدبية والفنية .

ولمّا فشا الترف في عهد العباسيين كان لذلك أثره في ظهور كثير من شعراء المجون ، ومنهم بشار بن برد الذي نقم الناس منه ، والذي قال مالك ابن دينار عنه : « ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الأعمى الملحد » وانتهى المجون ببشار الى أن أمر به الخليفة المهدي فضرب بالسوط حتى هلك . (١)

وفيما يلي أمثلة على شيء من الفكاهة في الأدب العربي :

حكى بشار بن برد الشاعر الغزل الضرير أنه كان يملك حمارا فمات ، ثم رآه بشار في المنام ، فقال له : ويحك أما الذي أماتك ؟ .. فأجابه الحمار : لأنك ركبتني يوما وكذا فمررنا بباب الأصبهاني فرأيت « أتانا » جميلة عند بابه ، فعشقتها فقتلني حبها ، ثم أنشد بشار على لسان حماره :

سيدي شمت أتانا عند باب الأصبهاني
تيّمتني يوم رحنا بثناياها الحسان
وبغنج ودلال سلّ جسمي وبراني
ولها خدّ أسيل مثل خد « الشيفراني »

فقال له واحد من القوم : يا أبا معاذ : ما هو « الشيفراني » ، قال هو من لغة الحمير ، فاذا لقيتم حمارا فاسألوه ..!

* * *

وروي عن شاعر أكول أنه جلس الى طعام مع امرأة فجعل جوارها والأكل معها ذريعة الى اشباع شراهته ، حيث كان يستوعب الطعام كله ويهوي بيده سريعا حتى ينال أكبر نصيب منه ثم قال هذا الشعر :

وان طعاما ضمّ كفّي وكفها لعمرك عندي في الحياة مبارك
فمن أجلها أستوعب الزاد كلّه ومن أجلها تهوي يدي فتدارك (٢)

* * *

والتصحيف ، وهو التغيير والتبديل ، هو أن تكتب الكلمة أو تنطق وقد نقصت نقطة أو زادتها أو تحوّلت النقطة عن موضعها ، ويكثر ذلك في الاسم الثلاثي . وذكر علماء اللغة أمثلة لتصحيف اسم ثلاثي واحد الى ثلاثين رسما منها هذه الكلمات : بنت ، نبت ، بيت ، نيب ، بيب ، ثيب .. الخ .

هذا التبديل والتغيير ، ولو بنقطة ، ينقل الكلمة وينقل المعنى الى معنى آخر . وكثيرا ما يكون هذا المعنى الآخر مثارا للسخرية والاضحاك ، كما قد يكون سببا لمآسي وفواجع .

ومن التصحيف الذي يثير الضحك هذه الأبيات التي هجا بها أبو نواس « أبانا » بن عبد الحميد اللاحقي ؟

صحّفتْ أمك اذ سمّتك في المهد أبانا
صيرت « باء » مكان التاء فالله أعانا
قد علمنا ما أرادت لم ترد الا أتانا

ولم يترك أبان « أبا نواس » دون جواب ، فقال فيه هجاء كثيرا منه هذان البيتان : على طريقة التصحيف أيضا :

حنفيّ رأيته في ضلال من الكرم
زد على « الحاء » نقطة وارفع النون بالقلم

ومن التصحيف الجيد قول أبي نواس :

يا لابس الشّنف الذي من أجله قلبي على شرف المهالك مشرف
«الشنف» في التصحيف سيف مرهف والشنف مثل السيف حين يصحف (٣)

واللحن في ذاته خفيف الوقع على السمع مقبول مستظرف .

يقول الجاحظ : « يستظرف من الجارية أن تكون غير فصيحة وأن يعتري منطقها اللحن » . ويقول « مالك بن أسماء ابن خارجة » يصف جارية :

منطق رائع وتلحن أحيانا ، وخير الكلام ما كان لحنا

ويقول ابن دريد : ليس اللحن هنا التصحيف بل أنها تتكلم بالشيء وهي تريد غيره من ذكائها وفطنتها . وأعتقد أن كلا الأمرين من الجارية مليح مستظرف .

وتحدث « أبو حاتم الجستاني » ، الامام النحوي عن نفسه أنه كان يقرأ على الأصمعي شعرا للمتلمّس فقرأ منه هذا البيت :

أغنيت شأني فأغنوا اليوم شأنكم واستحمقوا من مراس الحرب أو كيسوا

فقال : أغنيت شاتي « بالتاء بدلا من الهمزة » وأسرع الأصمعي فأتم البيت بقوله : فاغنوا اليوم شاتكم .. مشيرا الى أبي حاتم ، فضحك الحاضرون .

وكان التصحيف سببا في اضحاك الخليفة المأمون من وزيره أحمد بن أبي خالد الأحول ، وكان « الأحول » يقرأ على المأمون رقاع المظالم ، قرأ الوزير رقعة وقعها مشتك اسمه « اليزيدي » فقرأها الأحول « الثريدي » فضحك « المأمون » وذكر ما كان يعرف من شراهة وزيره للطعام فقال : أبو العباس جائع هاتوا له ثريدة ، فحضرت وأكلها « الأحول » ، ثم استأنف القراءة للمأمون وقرأ رقعة عليها توقيع « الحمص » فقرأه « الخبيص » فضحك « المأمون » وقال : كان غداء أبي العباس غير كاف ، لا بد للثريدة أن تتبع بخبيصة ، وأحضرت الخبيصة فأكره على أكلها .

وتصحيف الكلمات في الشعر والنثر ، كما يثير الضحك ، قد يسبب المضرة ، ومن ذلك أن الطبيب العربي الكبير « حنين بن اسحق » كان يحتاط في كتابة المتشابه من أسماء الأدوية ، « فيكتب » السّعتر

(١) « أحمد حسن الزيات ، من وحي الرسالة » (٢) الاهواء التناول باليد ، والمداركة المتابعة . (٣) الشنف ، القرط .

« بالصاد » « الصعتر » ويقول : أخاف أن يقرأ « الشعير » فيصير به الدواء داء .

ومن الشعراء المغرمين بالتصحيف واتخاذه وسيلة الى الذم والهزء والسخرية « ابن الرومي » فمن قوله في القيان :

لا تلح مـــن تفننـــه « قينة » فان تصحيف اسمها « فتنـــة »

ويقول فيمن اسمه « هرثمة » :

عائــذ دهــره ، اذا سطع النقـــــع ، بمعنى مصحّف اسم أبيه

وتصحيف « هرثمة » هو « هزيمة » .

رسائل فكهة :

وفي الأدب العربي القديم نجد رسائل كبيرة القيمة في الفكاهة والهزل والاضحاك ، من أشهرها « الرسالة الهزلية » لابن زيدون ، ولهذه الرسالة قصة ، فقد كان ابن زيدون ينافس الوزير « ابن عبدوس » في صلته بالولاّدة « بنت المستكفي » آخر خلفاء الأمويين ، وأراد الوزير أن يغلبه فأرسل الى « الولادة » أمرأة تجالسها وتحدثها عنه ، وتشيد بالذكر في فضائله ومحاسنه ، وعلم « ابن زيدون » بذلك فاراد أن يعكس عليه الأمر فوضع رسالته تلك على لسان « الولادة » يسخر فيها « بابن عبدوس » ويفرط في ذمه ، وبعث بالرسالة الى الوزير عقب خروج المرأة من عنده كأن « الولادة » هي التي كتبتها ، وكان لذلك أبلغ الأثر في نفس « ابن عبدوس » وتوثّقت الصلة بين « الولادة » و « ابن زيدون » .

ومن أشهر هذه الرسائل « مثالب الوزيرين » التي ألفها « أبو حيّان التوحيدي » في ذمّ « ابن عباد » و « ابن العميد » .

ولعلّ أشهر رسائل السخرية والفكاهة هذه رسالة « التربيع والتدوير » للجاحظ » .

و « الجاحظ » كاتب ذو قدرة فائقة عـــلى السخرية والاضحاك . نجد ذلك واضحـــا في كتابه « البخـــلاء » خـــاصة ، وفي كثير من رسائله حتى مـــا كان منها بعيدا عن الصبغة الأدبية ، مثل كتابه وكتبه « الحيوان » .

ومن فكاهته التي رواها في البيان والتبيين « أنه قيل لأعرابي . ما اسم المرق عندكم فقال : السخين » ، قيل له : فما اسمه اذا برد ؟ قال الاعرابي : لا نتركه حتى يبرد ..!

ومنها أن رجلين أحمقين صارا في طريق فقال واحد منهما للآخر : اني أرجو الله أن يهبني قطيعا من الغنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها ، فقال صاحبه : وأنا أرجو الله أن يهبني قطيعا من الذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئا ، وتخاصما ثم اتفقا على أن يحتكما الى أول القادمين ، فالتقى بهما رجل يركب حمارا وعليه زقّان من العسل فطلبا اليه أن يحكم بينهما ، فلما سمع قصتهما نزل عن حماره وأنزل زقي العسل فأسالهما على الأرض وهو يقول أسال الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين .

* * *

ورسالة « التربيع والتدوير » كتبها « الجاحظ » يسخر فيها من « أحمد ابن عبد الوهاب » ويستشهد فيها بكثير من الشعر مثل قوله :

لنا صاحب مولـــع بالخلاف كثير المراء قليـــل الصـــواب
ألـــج لجاجـــا من الخنفساء وأزهى اذا ما مشى من غراب

ويصف فيها « أحمد ابن عبد الوهاب » هذا بأنه مفرط القصر ، ويدّعي أنه مفرط الطول ، وكان مربعا تحسبه ، لسعة جفرته « جنبية » واستفاضة خاصرته ، مدوّرا ، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع ، وهو مع ذلك يدعي البساطة والرشاقة ، وانه عتيق الوجه أخمص البطن معتدل القامة تام العظم .. الخ .

والى « الجاحظ » ورسالته تلك نجد « أبا حيّان التوحيدي » نظير « الجاحظ » في الكتابة وحب الفكاهة والاضحاك ونجد كتابه « الامتاع والمؤانسة » وما فيه من فكاهة وظرف . ومن قصص « الامتاع » قصة واحدة تحدث بها « أبو حيّان » : وهي : « ضم عثمان ابن رواح السّفر ورفيقا له ، وقال له الرفيق : امض الى السوق فاشتر لنا لحما » قال : « واللهما أقدر ، قال : فمضى الرفيق واشترى اللحم ، ثم قال لعثمان قم الآن فاطبخ القدر قال والله ما أقدر ، فطبخها الرفيق ثم قال قم الآن فكل فقال : « والله لقد استحييت من كثرة خلافي عليك ولولا ذلك ما فعلت » .

ومما ذكر في نصيحة بخيل لصاحبه : اذا حدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم فانك تكون بها موأنسا لصاحبك « مسيغا للقمتك ، ومقبلا على شأنك » .

* * *

وبين الشعراء نجد « ابن الرومي » صاحب موهبة قادرة على الاضحاك والسخرية ، وكم له في ذلك من الصور البارعة . وقد رأينا شيئا من ذلك فيما سبق .

ويقول في وصف بخيل يحرص على الرغيف حتى يجعله مساويا لحياته : يمسك برغيفه هذا يقلبه بين يديه ويداعبه كأنه ابن له عزيز ويضعه في كمّه ، ثم يخرجه ، فيخاطبه كأنه صاحب جليس ، ومن حاول أن يطلب رغيفه هذا فقد عرّض نفسه للهلاك والتلف ولو كان جائعا مسكينا .

يقول ابن الرومي :

رغيف « سعيد » عنده عدل نفسه يقلّبـــه طورا وطورا يلاعبـــه
ويخرجه من كمـــه فيشمّـــه ويجلسه فـــي حجره ويخاطبه
فان جاءه المسكين يطلب مطعما فقـــد ثكلتـــه أمـــه وأقاربـــه

ومن صوره الرائعة قوله في بخيل اسمه عيسى :

يقتّر عيسى عـــلى نفســـه وليس ببـــاق ولا خـــالـــد
ولـــو يستطيـــع لتقتيـــره تنفس مـــن منخـــر واحـــد

وقوله في مغنية قبيحة الصوت :

صوتهـــا بالقلـــوب غير رفيـق بل لـــه بالقلوب عنف وبطش
فاذا رققتـــه بالجهـــد منهـــا خلت في حلقها شعيراً يجش .. !

ومن أبرع الصور الفكاهية التي تتمثل في شعر ابن الرومي وصفه لرجل أحدب :

قصرت أخادعه وغار قذاله (٤) فكـأنـه متربـص أن يصفعـــا
وكـأنمـــا صفعت قفـــاه مرّة وأحس ثانيـــة لهـــا ، فتجمعـــا ■

---

(٤) الأخادع عروق في الرقبة « وهي شعبة من الوريد » . والقذال « جماع مؤخر الرأس » .

الإنسانُ فوقَ القمر!

للشاعر محمود عارف

يا من تخيلته ، كالبدر مبتعدا … وبالعيان أراه قاب اشراف

العلم حقق « للانسان » منجزة … حقيقة ، تعتلي من غير اسفاف

توقع العقل للأسلاف مرحلة … من الحضارة ، فازهرت بأخلاف

ما كان في سابق الأزمان قوقعة … تمخض اليوم عن سبق واتحاف

والسابقون هم الرواد قد وطئوا … قمر الفضاء .. مجال الكائن الطافي

هذا هو العلم في فحواه ممتلىء … حقائقا ، جردت من زيف ارجاف

والشمس حائرة ترنو على مضض … لواقع العلم من أحلام عرّاف

والعلم بالعقل متصل وغايته … كشف الحقيقة في اسرار كشاف

ومنتهى العلم لا يدري به أحد … لكن تطويره رهن بأرهاف

يا فرحة العلم ، بالعقل المسدد في … ظواهر الكون ، في أبعاد أكناف

نام الخيال أمام العقل وارتطمت … فقاعة الوهم ، في صلصال خزاف

وما الخيال سوى أشباح معرفة … تحققت مثلا ، في شكل أهداف

خوارق الكون قد ظلت مبسطة … عند الحصيف ، على محصوله الكافي

الله خالق هذا الكون مقتدر … صاغ العقول ، بتقدير وانصاف

هذا هو « القمر » المجهول شاطئه … أمست « مسالكه » دربا لطواف

فالعلم حقق « للرواد » مفخرة … حيث امتطوا جرزا في أفقه الصافي

مهما تخيل فيه « الشاعرون » فلا … يفي « الخيال » بتصوير وأوصاف

قد كان منسرحا ، للفن في صور … من الجمال ، « لمحبوب » هو الوافي

واليوم أصبح دنيا في جوانبها … خاب « الخيال » وفاز « العقل » بالخافي



أسرع من الضوء

بقلم الاستاذ نقولا شاهين

حقق الانسان خلال فترة قصيرة من الزمن لا تزيد على ٧٥ عاما انتصارات مذهلة في حقل السرعة . فالطائرات اليوم تجوب رحاب الفضاء بسرعة تقرب من ثلاثة أضعاف سرعة الصوت ، أي نحو ٣٠٠٠ كيلومتر في الساعة ، وبذلك تقلصت المسافات بشكل هائل . فبعد أن كان المسافرون يقضون أشهرا للوصول الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج فانهم اليوم يستطيعون القيام بذلك في بضع ساعات . ولم يعد من داع لحسد الطيور في انتقالها بسهولة من مكان الى آخر ، كما يقول الشاعر :

بكيت على سرب القطا اذ مررن بي
فقلت ومثلي بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلي الى من قد هويت أطير

وفي بادىء ذي بدء لم يكن من السهل على الانسان أن يقبل فكرة السرعة في الانتقال ، لأسباب نفسية أو سياسية أو اجتماعية . وقد روي أن شركة أوروبية تقدمت الى أحد ملوك الصين لانشاء خط للسكة الحديد ، تربط جنوب البلاد بشمالها ، ولم يكن من السهل اقناع المسؤولين بفوائد هذا المشروع . فبدا لأحد أعضاء الشركة أن يشدد على اختصار الوقت أثناء السفر من جنوب البلاد الى شمالها ، فيصبح ذلك أربعين ساعة بدلا من أربعين يوما ، فأجابه الملك قائلا : وماذا نفعل بما يتبقى لنا من الوقت ؟

وعندما ظهرت السيارات في انكلترا لأول مرة ، رافقها قرار من مجلس النواب مفاده أن كل سيارة يجب أن يصطحبها ثلاثة أشخاص ، واحد منهم يسير أمامها ممسكا بيده علما أحمر ، وحددت السرعة القصوى بستة كيلومترات في الساعة ، على أن لا تتعدى ثلاثة كيلومترات في المناطق السكنية .

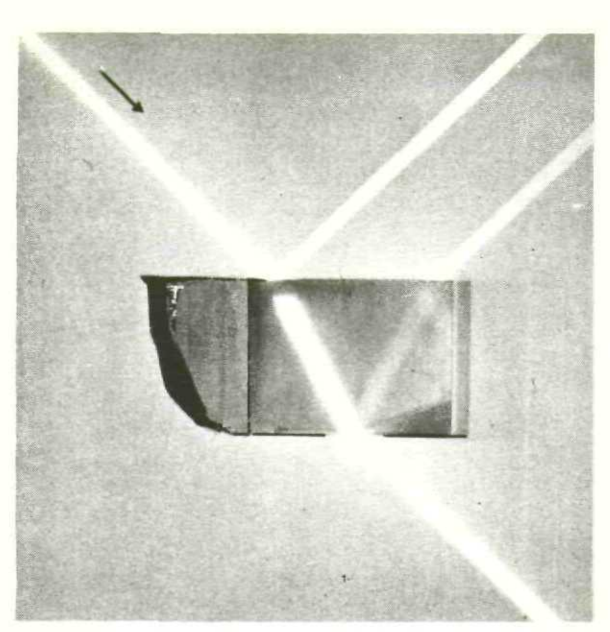
أما اليوم فقد تمكن الانسان في رحلته الى القمر من التوصل الى سرعة مقدارها ٤٠٠٠٠ كيلومتر في الساعة للتغلب على جاذبية الأرض . وها هو يحلم اليوم بالوصول الى ما يقرب من سرعة الضوء أي نحو ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية للقيام برحلاته في الفضاء الخارجي .

غليليو يحاول قياس سرعة الضوء

لم يكن قياس سرعة الصوت أمراً صعبا ، لأنه عملية تدخل في نطاق الوسائل التي يملكها الانسان العادي . فاذا أحدث انسان صوتا ، وهو واقف أمام بناية كبيرة أو تلة ، فانه يسمع صدى ذلك الصوت بسهولة . ولكي يعرف مقدار سرعة الصوت فما عليه الا أن يقيس المسافة بينه وبين الجسم المعاكس ذهابا وايابا ، وان يقسم ذلك على الزمن الذي استغرقه الصوت في قطع تلك المسافة ، فيحصل بذلك على سرعة الصوت . وهذا ما يفعله طلاب المدارس عادة في المختبرات لقياس سرعة الصوت ، ولكن بطرق أخرى . وقد أدرك الانسان منذ القدم أن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت ، وذلك من خلال مشاهدة البرق الذي يرافق قصف الرعد ، أو من خلال مشاهدة الدخان الذي يسبق صوت أي انفجار .

كان الاعتقاد السائد قديما أن الضوء ينتقل على الفور من مكان صدوره الى مكان وصوله ، وهذا مغاير لمفاهيم العقل الذي حار في تفسير هذا الأمر ، فسلّم به مكرها . لكن العلماء لم يكفوا عن مواصلة دراساتهم وتحريهم عن الحقائق المجردة . لذلك نرى أن العالم « غليليو » قام بتجربة لقياس سرعة الضوء .

وقد عمد « غليليو » الى هذه التجربة لأن الأبحاث النظرية آنذاك لم تكن كافية لتقرير هذا الأمر ، فوضع التصميم لذلك ، وقام مجلس العلوم بتنفيذه ، بعد أن عهد الى فئتين من الرجال مجهزين بمصابيح ذات نوافذ يسهل اقفالها ، وتتلخص هذه التجربة في أن وقفت احدى الفئتين على تلة مقابل تلة أخرى حيث كانت الفئة الثانية ، وكان يفصل بينهما واد . كما كانت المسافة بين التلتين لا تتعدى بضعة كيلومترات . وعندما أرخى الليل سدوله ، أضيئت المصابيح وبقيت نوافذها مقفلة ، وبعد ذلك أعطيت الاشارة ، لرفع الستار عن مصباح احدى الفئتين حتى تتمكن الفرقة الأخرى من مشاهدة الضوء . فلما وصلت الاشارة الضوئية الى الفرقة الثانية ، رفعت هذه الأخيرة الستار عن مصباحها فانطلق ضوؤه الى الفرقة الأولى حيث قامت الفئة الأولى



حزمة من الضوء أثناء سقوطها على سطح قطعة من الزجاج متوازية الجوانب ، حيث انعكس جزء منها بينما اخترق الجزء الباقي من الأشعة قطعة الزجاج كما يظهر في الرسم .

أخذت هذه الصورة في حجرة خاصة تعرف بحجرة الفقاقيع حيث تظهر مسارات بعض الميزونات والبروتونات التي تكونت نتيجة تصادم حدث بين ميزون وبروتون .. وبذلك يمكن قياس سرعة جسيم ما عن طريق عدد الفقاقيع المحدثة في وحدة الطول على الماء ..

بتعيين الوقت بين ارسال اشارتها الضوئية ووصول الاشارة من الفئة الثانية بواسطة ساعة رملية . غير أن « غليليو » ومساعديه لم يكونوا على علم بأن سرعة الضوء تنقله حول الأرض نحو ٨ مرات في الثانية الواحدة . وكان من نتيجة ذلك أن استخلصوا من مقاييسهم البدائيـــة أن سرعة الضوء لا حد لها .

رويمر يتوصل الى قياس سرعة الضوء

بعد مضي أربع وثلاثين سنة على موت « غليليو » ، ظهر أول برهان على أن للضوء سرعة محدودة ، وكان ذلك عن طريق دراسات فلكية قام بها العالم الدانمركي « رويمر » عام ١٦٧٦م . وكانت المراقب في ذلك الوقت قد كشفت عن أن للكوكب السيار « المشتري » ، أربعة أقمار على الأقل ، تدور حوله ، وأن لكل من هذه الأقمار دورته الخاصة . ومع تقدم صناعة المراقب في عصرنا الحاضر ، تبين أن عدد الأقمار التابعة للكوكب السيار المشتري أثنا عشر قمرا .

لم يكن لدى البحارة في أيام « غليليو » ، ساعات دقيقة تساعدهم على معرفة الطول الجغرافي في أسفارهم . فبدا لغليليو أن أحد الأقمار التي كان قد اكتشفها ، يصلح لأن يكون ساعة فلكية لأغراض الملاحة البحرية ، اذ أن هذا القمر يدور في فلكه كعقرب الساعة ، ومن السهل تحديد دورته ، وذلك بمراقبة دخوله في ظل الكوكب السيار المشتري واختفائه وراءه . ولكي تصبح هذه الساعة الفلكية مجدية عمليا ، كان لا بد من حساب الوقت النجمي لخسوف هذا القمر ، الأمر الذي اكتشفه « كاسيني » ، مدير مرصد باريس ، بالتعاون مع مساعده « أولف رويمر » الذي قام بدوره بجمع المعلومات اللازمة وتفسيرها ، ومن هنا أصبح لدى العلماء بريق أمل في قياس سرعة الضوء بشكل مقبول في الأوساط العلمية لأول مرة .

هذا وقد تبين « لرويمر » أثناء دراسته لدورات أقمار الكوكب السيار « المشتري » وخسوفاتها ، ان هذه الخسوفات تحدث في فترات منتظمة ، وان أشدها لمعانا يدور في فلكه مرة كل سبعة أيام تقريبا ، ونتيجة لهذه الظاهرة يحدث خسوف أثناء هذه الدورة . وعندما دقق في الأزمنة التي تتم فيها الخسوفات ، وجد أنها تحدث في أوقات تختلف عن المعدل ، وذلك حسب وضع الأرض من « المشتري » . فعندما يكون المشتري والأرض على جهة واحدة بالنسبة الى الشمس يكون زمن الخسوف أقصر مما يكون عليه عندما تكون الشمس بين الأرض والمشترى ، بمقدار ١٦ دقيقة و ٤٠ ثانية .

وقد نسب « رويمر » هذا الفرق في الزمن الى الوقت الذي يحتاجه الضوء للانتقال عبر فلك الأرض ، وهذا أمر لم يكن معروفا تماما في تلك الأيام . ونتيجة لذلك كانت سرعة الضوء كما عينها « رويمر » تزيد على ما هو معروف اليوم في الأوساط العلمية بثلاثة في المائة فقط .

لقد حبذ « نيوتن » و « هوجنس » هذه النتيجة ، لكن « ديكارت » العالم الرياضي ، أصرّ على أن سرعة الضوء غير محدودة ، وان الضوء ينتقل فورا من مكان الى آخر دون مراعاة الزمن .

ومن بين العلماء الآخرين الذين أجروا محاولات لقياس سرعة الضوء العالم الفرنسي « أرمان فيزو » ، وقد قام هذا في عام ١٨٤٨ في أول محاولة لقياس سرعة الضوء عبر مسافة قصيرة على الأرض بلغت ٨٦٣٣ مترا ، وذلك بطريقة الدولاب المسنن ، ليتسنى له قياس فترة قصيرة من الزمن . وأصبحت هذه الطريقة شائعة الاستعمال في تحديد سرعة الضوء في الهواء والماء والفراغ الفضائي .

وفي عام ١٩٥٧ ، توصل أحد العلماء الى أن الضوء يسير في الفراغ بسرعـــة مقـــدارها ٤٠٠ ٧٩٢ ٢٩٩ متر في الثانية ، بانيا دراسته هذه على نتائج مسبقة توصل اليها عدد من العلماء ، وهـــذا هو المعترف به رسميا في الأوساط العلمية اليوم .

أسطورة الأثير كوسط لانتقال الضوء

رافقت البحث في سرعة الضوء أمور تتعلق بطبيعته لم يستطع العلماء الجزم فيها ، نظرا للتناقضات وما كان يكتنفها من ابهام وغموض . فقد قال العالم الفلكي الاسلامي « ابن الهيثم » أن الضوء ذري التركيب ليفسر كيفية انتقاله وانكساره وانعكاسه . وبعد ستة قرون تقريباً جاء « نيوتن » ليتبنى نظرية ابن الهيثم، ويبني آراءه في تفسير ظاهرة الضوء على أنه حبيبات تصدر من جسم نيّر ، فتنعكس عن بعض الأجسام عند وقوعها عليها ، وتنكسر في انتقالها من وسط الى آخر .

ومما قاله « نيوتن » في تفسيره لظاهرة الضوء ، ان حبيبات الضوء عندما تقع على سطح الماء أو الزجاج فانها تتعرض لقوة جذب من قبل جزيئات السائل أو الجماد فتزداد سرعتها ، وهكذا توصل نظريا الى أن سرعة الضوء في الماء أو الزجاج ، هي أعظم منها في الهواء . وقد سلّم الناس بهذا الرأي نظرا للمكانة التي كان يحتلها « نيوتن » بين العلماء الى أن جاء من ينقضه بطريقة لا تقبل الجدل .

ذكرنا سابقا أن العالم الفرنسي « فيزو » ، تمكن من قياس سرعة الضوء عن طريق الدولاب المسنن . وقد أجريت تجارب كثيرة من قبل علماء عديدين ، اما بواسطة طريقة « فيزو » أو بواسطة طريقة وضعها العالم الفرنسي « فوكو » لقياس سرعة الضوء في الماء أو الزجاج ، فكانت النتيجة أن سرعة الضوء في جميع أنواع المادة هي أقل منها في الهواء أو الفراغ . لذلك فقد اعتبرت هذه المعلومات ناقضة لنظرية طبيعة الضوء الذرية .

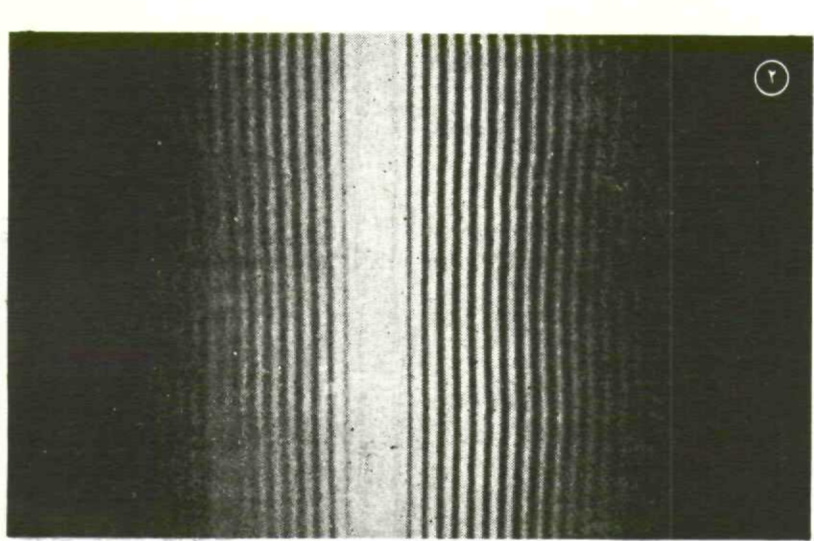
كان من المعتقد أن انتقال أمواج الصوت والضوء يتطلب وسطا مرنا يساعد على حمل الطاقة من مكان الى آخر . فما هي اذن تلك المادة التي تملأ رحاب الفضاء ، وتساعد على انتقال أمواج الضوء ؟

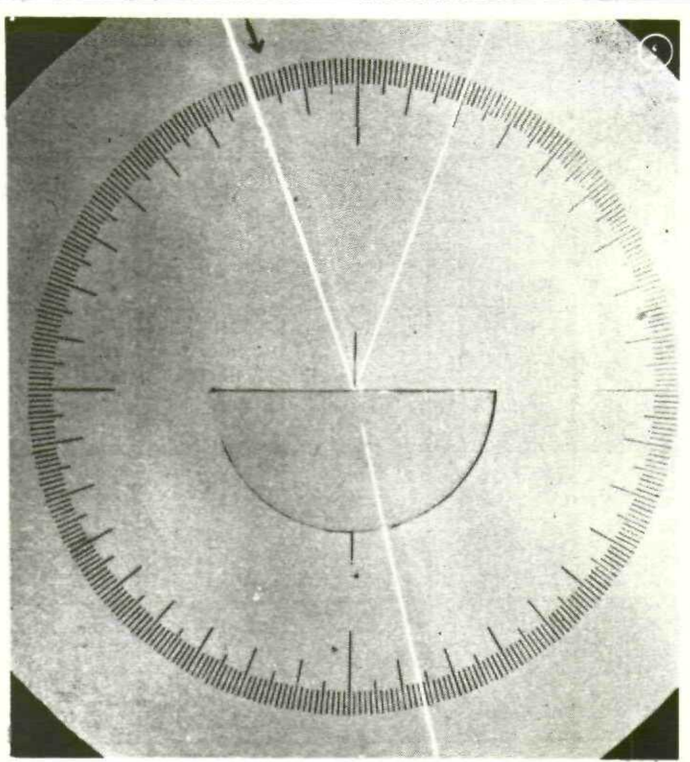
لقد وجد العلماء الأقدمون في الأثير ضالتهم المنشودة . وهو في نظرهم وسط رقيق للغاية ، بحيث لا يعترض الكواكب السيارة في تحركها ، كما انه يتمتع بمرونة تفوق مرونة الفولاذ بنحو ألف مرة . ومع هذا فقد سلّم العلماء بوجوده تسهيلا لفهم انتقال أمواج الضوء .

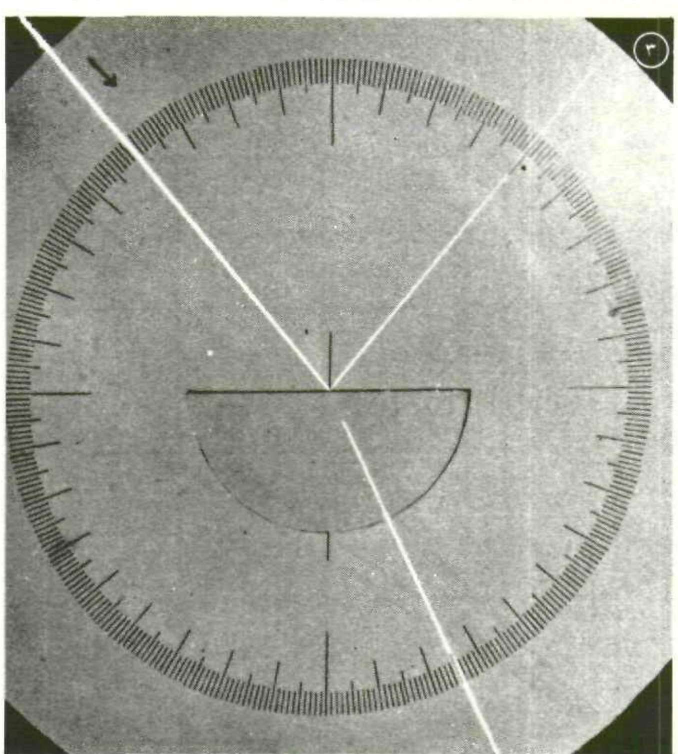
لا وجود للأثير

كان الكون الذي يتخلله وسط غير منظور وتجوب في عبابه الأجرام السماوية ، وتنتقل فيه أمواج الضوء ، كما تنتقل الأمواج على سطح الماء ، كان آخر النتائج الفيزيائية التي توصل اليها « نيوتن » وما وضعه من نواميس . وقد أصبح هذا الوسط ، أي الأثير الوهمي ، مطية ميكانيكية لكل ظواهر الطبيعة المعروفة ، ومرجعا للدلالة على حركة الأجسام . ومع ذلك فلم يتمكن أحد من حل ألغاز هذا الوسط الغريب ، أو اثبات وجوده فعلا في أرجاء الكون .





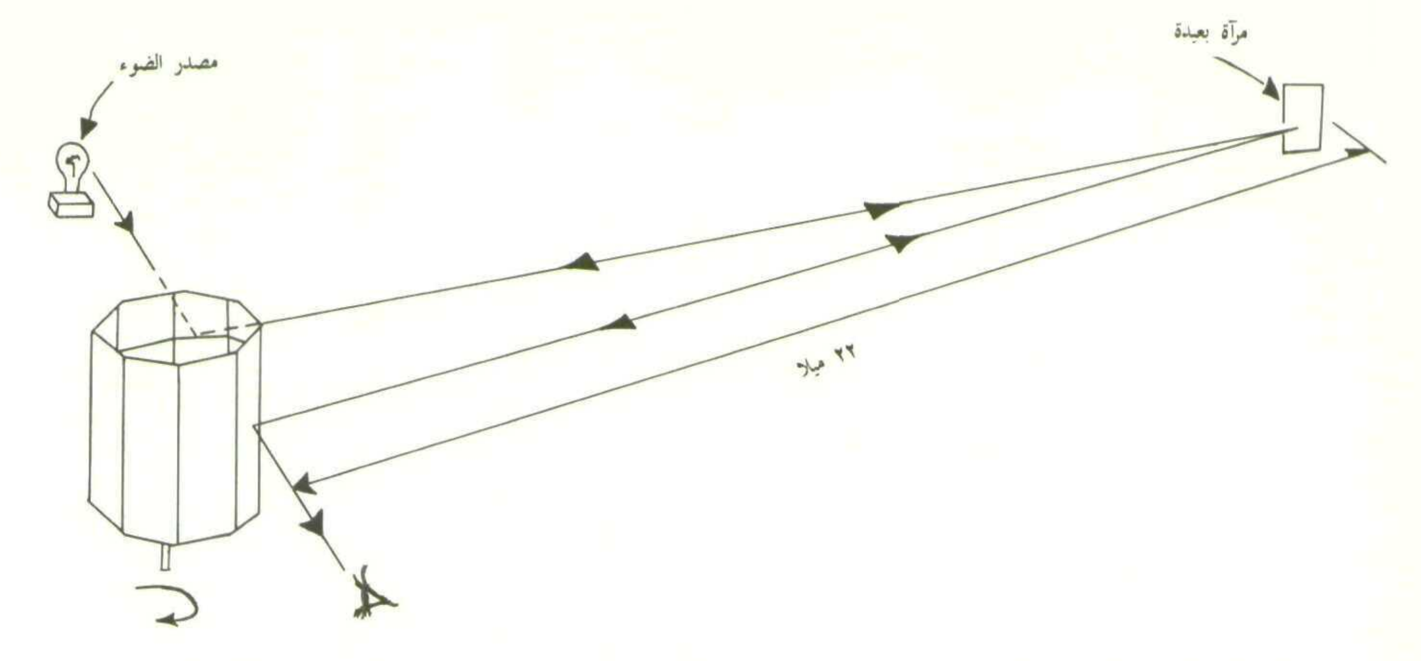




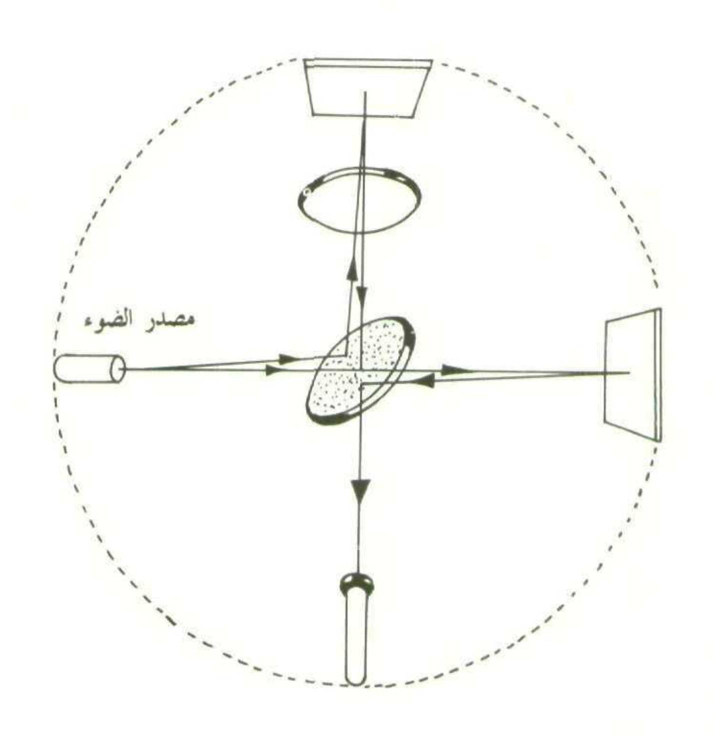
١ – كان الاعتقاد السائد حتى مطلع القرن الثامن عشر ان الضوء ذري التركيب ، وان ذراته تسقط على السطح ثم تنعكس عنه تماما كما يحدث لكرة من الفولاذ عندما تسقط مائلة على سطح صلب فيعكس اتجاهها .

٢ – عندما تتداخل حزمتان من الضوء بعضهما ببعض ، تتولد عنهما أهداب مضيئة وأخرى مظلمة . وقد جاءت هذه التجربة اثباتا للنظرية القائلة بأن طبيعة الضوء موجبة وليست سالبة .

٣–٤ – عندما تقع حزمة من الضوء على سطح ماء أو على قطعة من الزجاج ، ينعكس بعضها ويعود الى الهواء ، بينما يدخل البعض الآخر مائلا عموديا .. وقد نسب العالم « نيوتن » هذه الظاهرة الى أن سرعة الضوء عبر الماء أو الزجاج أعظم منها في الهواء . بينما أثبتت التجارب المتعاقبة عكس ذلك .



رسم توضيحي لجهاز « ميكلسن » الخاص بقياس سرعة الضوء بواسطة مرآة ثمانية الأضلاع ، تعكس ما يقع عليها من أشعة الى مرآة أخرى بعيدة عنها ثم تعود هذه الأشعة الى المرآة الأولى حيث يقاس الزمن الذي استغرقته الأشعة في رحلتها وذلك من خلال عدد دورات المرآة الثمانية الأضلاع .

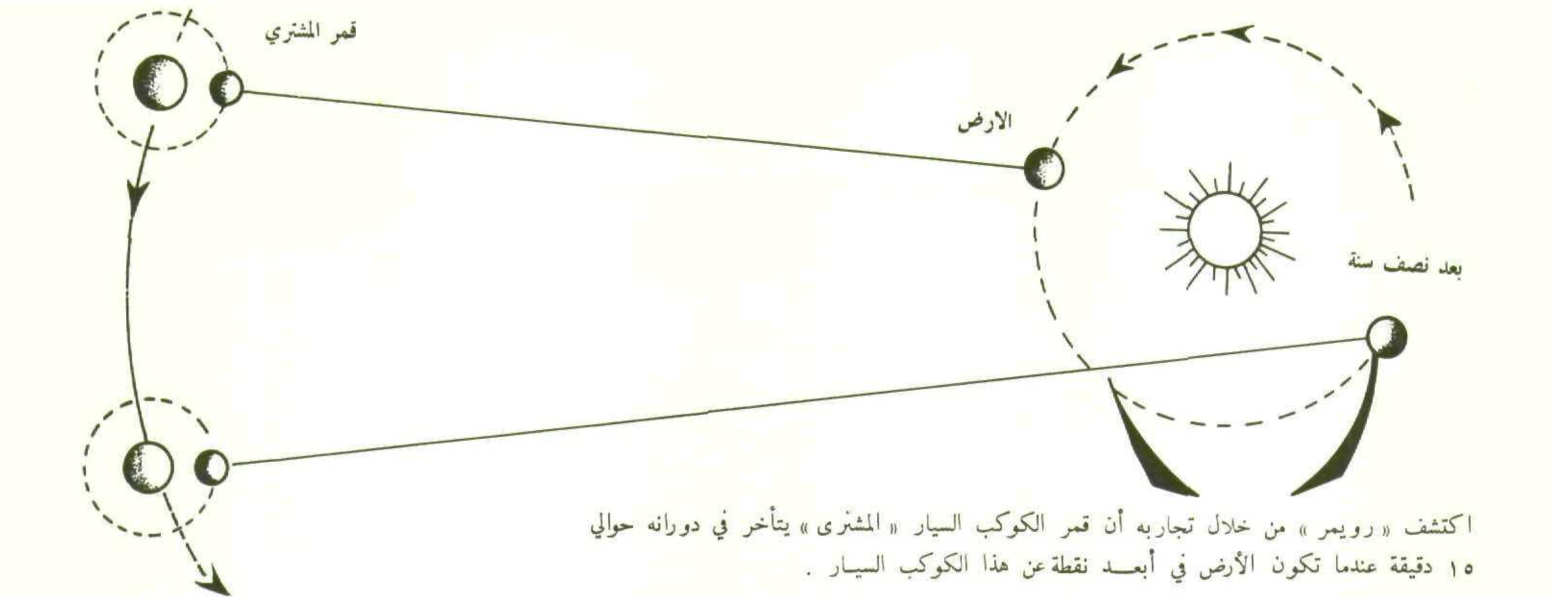


رسم يمثل الجهاز الذي ابتكره العالمان « ميكلسن » و « مورلي » لمعرفة ظاهرة تداخل الضوء .. وقوام هذا الجهاز عدد من المرايا وضعت بحيث تسقط حزمة من الضوء على المرآة الوسطى فينعكس جزء منها عموديا بينما يخترق جزء آخر منها المرآة الأفقية . وعندما تعود الأشعة من الناحيتين الى المرآة الوسطى تتكون أشعة واحدة تنعكس باتجاه مرقب يقع في أسفل الجهاز المذكور لمشاهدة ظاهرة التداخل الضوئي .

ثم أقدم العالمان الأميركيان ، « ميكلسن و مورلي » ، على حل ألغاز هذا الوسط الغريب ، وذلك عن طريقة تجربة كلاسيكية أجرياها عام ١٨٨١ . وقد استند هذان العالمان في تجربتهما هذه الى أنه اذا كان الكون بحرا من الأثير عديم الحركة ، فيجب أن يكون بالامكان ادراك سرعة الأرض في ذلك الوسط وقياسها ، كما يتمكن الملاحون من قياس سرعة المركب في وسط الماء . وقد تبين نيوتن انه ليس بالامكان ادراك حركة المركب في الماء الهادىء بأي تجربة آلية تجري في داخله . لذلك فان الملاحين يعمدون لمعرفة سرعة المركب الى القاء قطعة خشبية من على سطحه ، مربوط بها حبل ، ثم مراقبة طول الحبل الذي تجره القطعة الخشبية نتيجة لابتعاد المركب عنها في زمن معين .

أما « ميكلسن » و « مورلي » فقد رميا حزمة من الضوء في بحر الأثير عوضا عن قطعة خشبية ، على أمل أن يجدا تغييرا في سرعة الضوء ناتجا عن مجرى الأثير الذي يحدث بسبب حركة الأرض . وبعبارة أخرى ، اذا انطلقت حزمة الضوء في اتجاه حركة الأرض ، فان سرعتها تقل بسبب مجرى الأثير ، . كما يحدث لسرعة من يسبح ضد التيار في النهر . وهذا الفرق في سرعة حزمة الضوء يكون قليلا ، لأن سرعة الأرض في مدارها تبلغ ٣٢ كيلومترا في الثانية ، وهو جزء بسيط من سرعة الضوء . أما الجهاز الذي ابتكره هذان العالمان ، فقد مكنهما من قياس كسر بسيط من كيلومتر في الثانية قد يطرأ على سرعة الضوء .

جرت هذه التجربة في ظروف من الدقة والاتقان المتناهيين ، وقد خرج العالمان السالفا الذكر منها بنتيجة مفادها انه لا فرق في سرعة



اكتشف « رويمر » من خلال تجاربه أن قمر الكوكب السيار « المشترى » يتأخر في دورانه حوالي ١٥ دقيقة عندما تكون الأرض في أبعد نقطة عن هذا الكوكب السيار .

الضوء كيفما كان اتجاه الحزمة . غير أن هذه النتيجة وضعت العلماء أمام أمرين ، فكان عليهم اما أن يهملوا نظرية وجود الأثير بعد أن كانت قد أدت خدمات لا تحد ، في مجال الضوء والكهرباء والمغناطيس ، أو أن يتمسكو بها ويهملوا فكرة دوران الأرض في مدارها . حدثت بلبلة في آراء العلماء بعد هذه التجربة ، خصوصا بعد أن كررت مرارا ، وكانت النتيجة أن سرعة الأرض بالنسبة الى الأثير هي لا شيء .

ظلت الحيرة تساور تفكير العلماء ازاء ظاهرة وجود الأثير أو عدم وجوده ، الى أن جاءت نظرية « النسبية » بعد ربع قرن لتعلن أن الاثبات الوحيد الذي يصح الاعتماد عليه هو سرعة الضوء ، وانه لا وجود للأثير اطلاقا ، كما انه لا حاجة لاعتبار الفضاء نظاما ثابتا مستقرا يمكن للعلماء من خلاله تمييز الحركة المطلقة من النسبية ، فتظل سرعة الضوء ثابتة ، اذا كان من يراقبها يسير نحو مصدر الضوء أو بعيدا عنه . وهكذا حل الضوء في الكون محل الأثير الذي بقي زمنا طويلا مركز الدلالة على حركة الأجسام .

لا شيء يمكن أن يسير بسرعة الضوء

وعلاوة على ما تقدم ، فقد نصت نظرية النسبية على أن كتلة الجسم تزداد بازدياد سرعته ، واذا سار جسم بسرعة الضوء تصبح كتلته لا حد لها . ولما كانت الأجسام في عالمنا هذا تسير بسرعة لا تتعدى كسرا بسيطا من سرعة الضوء ، فان من غير اليسير ادراك أي تغيير يطرأ على الكتلة . لذلك كان من العسير على الأوساط العلمية أن تسلم بهذه النظرية في بادىء الأمر ، غير أنه لم يمض بضع سنوات على ظهورها حتى أصبحت الناموس الشامل بالرغم من أن أحدا لم يتمكن من اجراء تجارب لاثباتها عمليا .

ومع تقدم الدراسات الذرية ، تبين أن هناك أجساما تبلغ سرعتها جزءا كبيرا من سرعة الضوء . فجسيمات « بيتا » تنطلق من الراديوم بسرعة تتراوح بين ٣٠ و ٩٩,٨ بالمائة من سرعة الضوء ، وذلك لأن كتلة الجسم تزداد بنسبة ١٥ بالمائة اذا كانت سرعته تعادل ٥٠ بالمائة من سرعة الضوء ، أما اذا كانت سرعة الجسم تعادل ٩٩,٨ بالمائة من سرعة الضوء ، فان كتلته تزداد ١٦ ضعفا . هذا ، وتقوم المسارعات الذرية باعطاء القذائف الذرية سرعات عالية ، فتصبح ذات زخم يؤهلها من شطر الذرة ، كما أصبح معروفا اليوم .

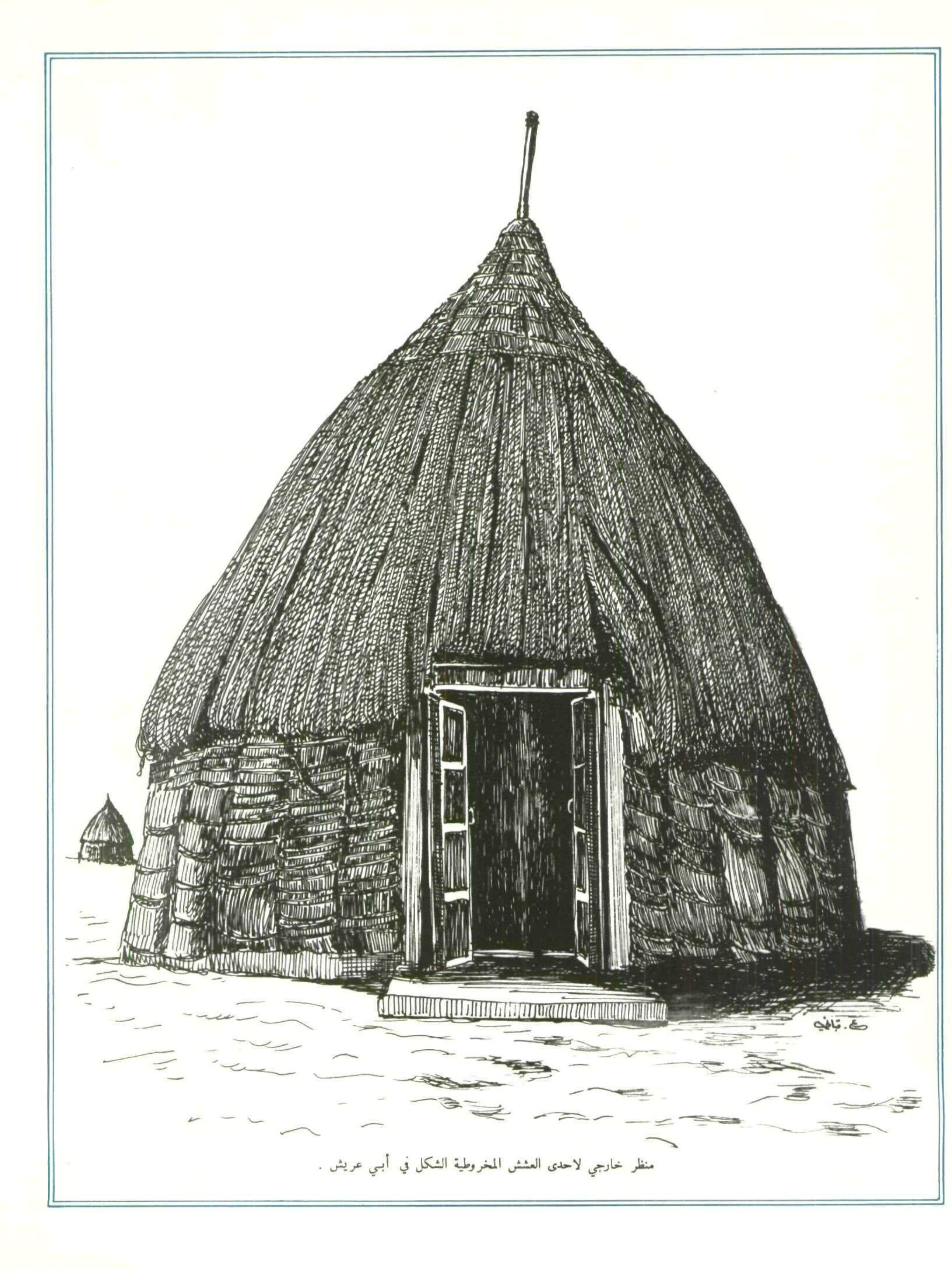
وهناك بعض الكوازارات أو أشباه النجوم يبتعد عنا بسرعة تساوي ٨٠ بالمائة من سرعة الضوء . ومع اتقان المراقب الراديوية ستزداد معلوماتنا عن محتويات الكون وخواصه .

ذريرات أسرع من الضوء

في عام ١٩٥٨ ، منحت جائزة نوبل لثلاثة من العلماء السوفيات ، على أبحاث قاموا بها ، تتعلق بنوع غريب من الاشعاع ينطلق عندما تسير ذريرات وسط مادة شفافة بسرعة تفوق سرعة الضوء . وكان أحد هؤلاء الثلاثة قد اكتشف هذا الاشعاع عام ١٩٣٤ ، وبعد ذلك عكف الاثنان الباقيان على شرح هذه الظاهرة نظريا . ولما كانت زاوية انطلاق هذه الأشعة من جسم ما تتوقف على سرعة ذلك الجسم ، أصبح هذا الاشعاع وسيلة في التجارب لمعرفة دقائق ذات سرعة معينة .

نعود الآن الى الخيال العلمي ، الذي كان مقدمة لظهور حقائق ملموسة ، كالوصول الى القمر ، أو الى صنع طائرات أسرع من الصوت . فالعالم الفيزيائي « فاينبرغ » من جامعة كولومبيا مثلا ، لم يكن مقتنعا باطار نظرية النسبية التي أثبتت بأنه ليس بالامكان التوصل الى سرعة أعظم من سرعة الضوء ، لذلك فقد عكف على معالجة المعادلات الرياضية التي هي قوام تلك النظرية ، فلم يتوصل مطلقا الى نتائج ايجابية . لكنه أخيرا توصل الى حل يخرجه من ذلك المأزق ، وذلك بأن استبدل كتلة الجسيم وطاقته ، برقم رياضي وهمي ، هو الجذر المالي للعدد « –١ » ، وكانت النتيجة هي طاقة حقيقية لجسيم أسرع من الضوء مما دفعه الى تصور وجود جسيم غريب على الجانب الآخر من حاجز سرعة الضوء ، يستطيع الانطلاق بسرعة تفوق ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية ، وهي سرعة الضوء المعروفة .

هذا ، وقد رحبت الأوساط العلمية بهذا الجسيم الجديد بالرغم من خواصه الغريبة ، وشرع العلماء في تجهيز المختبرات الضرورية للكشف عن هذا الجسيم ، عن طريق مسح عام لصور عديدة تظهر فيها تصادمات الجسميات الصغيرة في داخل الحجرة الغائمة أو حجرة الفقاقيع . واذا ما تم التوصل لاكتشاف هذا الجسم ، فانه من المحتمل في المستقبل أن يتمكن الانسان من القيام برحلات الى النجوم البعيدة ، عن طريق مركبات تستمد سرعتها العالية من تسارع مصدره هذه الجسيمات الجديدة ، بحيث تصبح سرعة المركبة قريبة جدا من سرعة الضوء . وفي حالة كهذه ربما تستغرق رحلة الانسان الى أقرب نجم من النجوم ، نحو أربع سنوات وبضعة أشهر ■



منظر خارجي لاحدى العشش المخروطية الشكل في أبي عريش .



جازان ...

على عتبة فجر جديد

جازان .. منطقة في اقصى الطرف الجنوبي - الغربي من المملكة العربية السعودية ، كانت حتى عهد قريب ترزح تحت كابوس ثقيل من الأرزاء والكوارث . وتنخر في أوصالها آفات الفقر والجهل والمرض وتقبع في عزلة بغيضة تجتر بمرارة أصداء حروبها المتلاحقة ، الى أن نعمت منذ أقل من نصف قرن باستقرار أوضاعها واستتباب أمنها ، ومن ثم راحت تواكب مسيرة التطور الشامل . وهي اليوم تتطلع بكل ثقة واعتزاز الى غد مشرق ومستقبل زاهر لما تنعم به من مشاريع حيوية تعود عليها بالرخاء ورغد العيش .





١ – صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية يقص الشريط ايذانا بافتتاح أضخم سد في المملكة العربية السعودية ، وقد وقف الى يساره صاحب السمو الملكي الأمير سلمـــان بن عبد العزيز ، أمير منطقة الرياض فمعالي الشيخ حسن مشاري وزير الزراعة والمياه .

٢ – منظر لمدينة جازان من البحر ، وترى بعض قوارب الصيد رابضة على الشاطىء .

٣ – قلعة الدوسرية التي تتربع على جبل في وسط مدينة جازان وتطل على الميناء من الجهة الأخرى .

تضافرت عوامل عديدة لتجعل من هذه البقعة منطقة فريدة . فهي تمتـاز أولا بتربة خصبة تزرع أربع مرات في السنة الواحدة ، مما دعا أحد الخبراء الزراعيين الى أن يطلق عليها اسم « سلة خبز المملكة العربية السعودية » ، وثانيا بموقع فريد بصفتها بوابة المملكة الجنوبية الغربية ، وثالثا لطبوغرافيتها المتنوعة : جبال شاهقة تغطيها أشجار الغابات والفاكهة ، وأودية ممرعة ، وسهول ساحلية خضر ، وشواطىء رملية على البحر الأحمر .

تغطي هذه المنطقة مساحة تبلغ نحو مائة ألف كيلومتر مربع . ويمتد ساحلها ، القليل التعاريج ، مسافة ٣٥٠ كيلومترا تقريبا ، من « القحمة » شمالا ، الى « الموسّم » جنوبا قرب الحدود اليمنية ، وتنتهي شرقا بجبال « رجال ألمع » ، وهروب ، وبني مالك ، والنظير . أما سهولها الساحلية فتضيق وتتسع تبعا لقرب الجبال وبعدها عن البحر ، ويبلغ متوسط عرض السهل الساحلي حوالي ٨٠ كيلومترا .

وتتميز هذه المنطقة عن غيرها باكتظاظها بالسكان ، وبكثرة قراها الزراعية ، فلا تكاد تقطع نحوا من خمسة كيلومترات حتى تحط في قرية . وتعتبر مدينة « جازان » ، الواقعة على خط عرض ١٦,٥٣ درجة شمالا ، وخط طول ٤٢,٣٣ شرقا ، عاصمة هذه المنطقة والميناء الرئيسي لها ولمنطقة عسير كلها أيضا ، وهذا ما جعل منها مركزا تجاريا مرموقا . ومن أشهر قراها أبو عريش ، وصبيا ، وبيش ، وحاكمة ، وصامتة ، والعارضة ، والدرب ، وعيبان ، وهروب ، والحقو ، والمضايا ، ونخلان ، وضمد .

وتتخلل منطقة جازان أودية كثيرة تنحدر من سلسلة جبال السراة ، وتتجه نحو السهل الساحلي ، ثم تصب في البحر الأحمر . ومن أهم هذه الأودية ، وادي عتود ، وبيش ، وصبيا ، وضمد ، وجازان ، وتعشر ، وخلب ، وليه . وتتركز حياة السكان الزراعية حول هذه الأودية وروافدها ، فهي تحمل السيول والطمي من الجبال في موسم الأمطار ، وتتدفق على السهول الساحلية ليستفيد منها الفلاحون . ومن أشهر الجبال في المنطقة جبل فيفا ، وجبال بني مالك ، وجبال الريث ، وجبال قيس ، وجبال الحشر . ولعل جبل « فيفا » ينفرد من بين تلك الجبال بمزايا لا تتوفر في غيره ، فهو أعلى جبل في منطقة جازان ، وتربض على قمته التي يبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر نحو ١١ ألف قدم ، قلعة تسمى « العبسية » . وهو يبعد عن جازان حوالي ١٤٥ كيلومترا ، ويمتاز بأشجاره المتشابكة الأغصان الوارفة الظلال ، وهوائه العليل ، ورباه الزاهية ، ورياضه النضرة . وقد تغنى الشعراء بهذا الجبل ، فهذا « هزار الجنوب » الشاعر محمد السنوسي يقول فيه :

متحف من أشعة وظلال ... في اطار من نضرة واخضلال
سابح في الفضاء يغمره النور ... بفيض من السنا والجلال
يتحدى الذرى ويخترق السحب ... ويزهو في عزة واختيال
جبل تعشق النجوم معاليه ... وتصبو الى ذراه العوالي
أخضر السفح أزهر السطح مصقول الحواشي زاهي الربا والتلال
مسرح الشعر والبيان ومسرى ... لمحة الفكر وانطلاق الخيال

والجدير بالذكر أن هذا الجبل رغم وعورته مأهول بالسكان من حضيضه الى قمته ، حيث أنشأ ساكنوه الرياض المنسقة في حيف (مدرجات) ، وبنوا بيوتهم الأسطوانية السامقة في كل منبسط وثنية منه ، وفيه تقام سوق « النفيعة » كل يوم اثنين . والصاعد الى ذروة هذا الجبل لا بد له أن يمر بذراع (١) الفحاح وذراع البركة وذراع يزيد بن يحيى .



« مكحلة » مصنوعة من الخصف ومحلاة بالخرز البديع الألوان تزدان بها جدران احدى العشش .

والى جانب الذرة والحنطة والشعير ، يغرس فيه ساكنوه أشجار البن والموز والعنب والخوخ والليمون والبرتقال والسفرجل والتمر الهندي والعنبروت (الباباي) والزنجبيل والمنجة والقشدة والاترنج . هذا بالاضافة الى « الخضر » ، وهي نباتات وزهور ذات رائحة زكية تضعها الريفيات في شعورهن ، ويطلقن عليها اسم « خطور الرأس » ، ومنها الكادي ، والبياض ، والفل ، والبعيثران ، والواله ، والزعتر ، والشّمطري ، الذي توضع أوراقه أيضا في الشاي لتكسبه رائحة طيبة ونكهة لذيذة .

أما مدينة جازان فعبارة عن رأس يمتد في البحر على شكل نصف دائرة ، يحيط بها البحر من الشمال والغرب ، وتحيط بها جبال الملح الصخري من الجنوب والشرق . ويمتد من الجهة الجنوبية الشرقية شاطىء رملي جميل تقع من ورائه تلال رملية . وقد أبدع الأستاذ العقيلي في وصف جازان عندما قال :

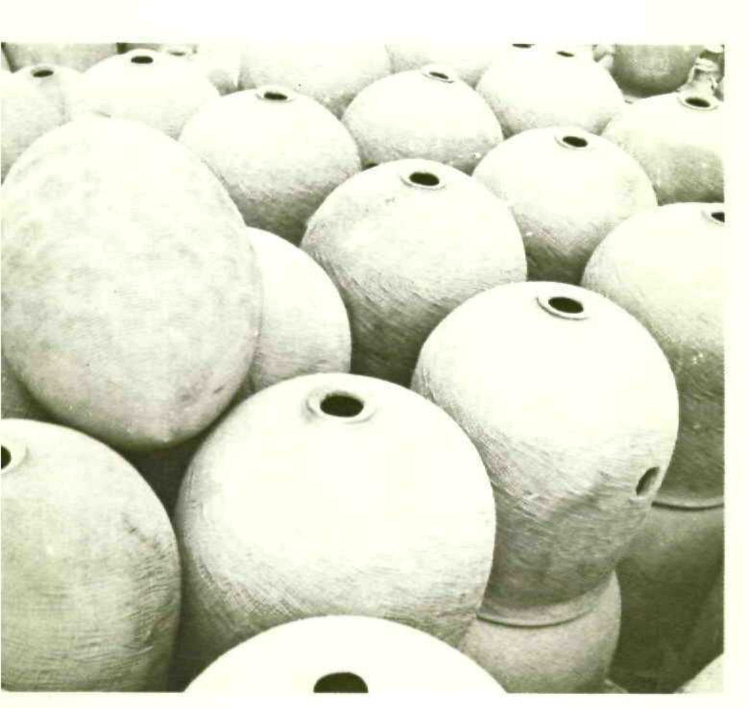
جازان اني من هواك لشاكي ... فتنصتي « لهزارك » وفتاك
يرعى شواطئك الجميلة هاتفا ... ومغردا بجمالها وصباك
يجلو المساء على بحارك فتنة ... رقصت لها الأمواج تحت ضياك
وتلألأت نور الأشعة فضة ... ذابت على حمر الصخور هناك
فبدا بها « قوز الشويعر » باقة ... بيضاء قد رفت على يمناك
وتبرجت فيه « العشيما » غادة ... نضت غلائلها هوى ، شطاك

(١) الذراع : منبسط من الأرض في حافة الجبل يستريح فيه الصاعدون والهابطون من عناء المشي على الأقدام .

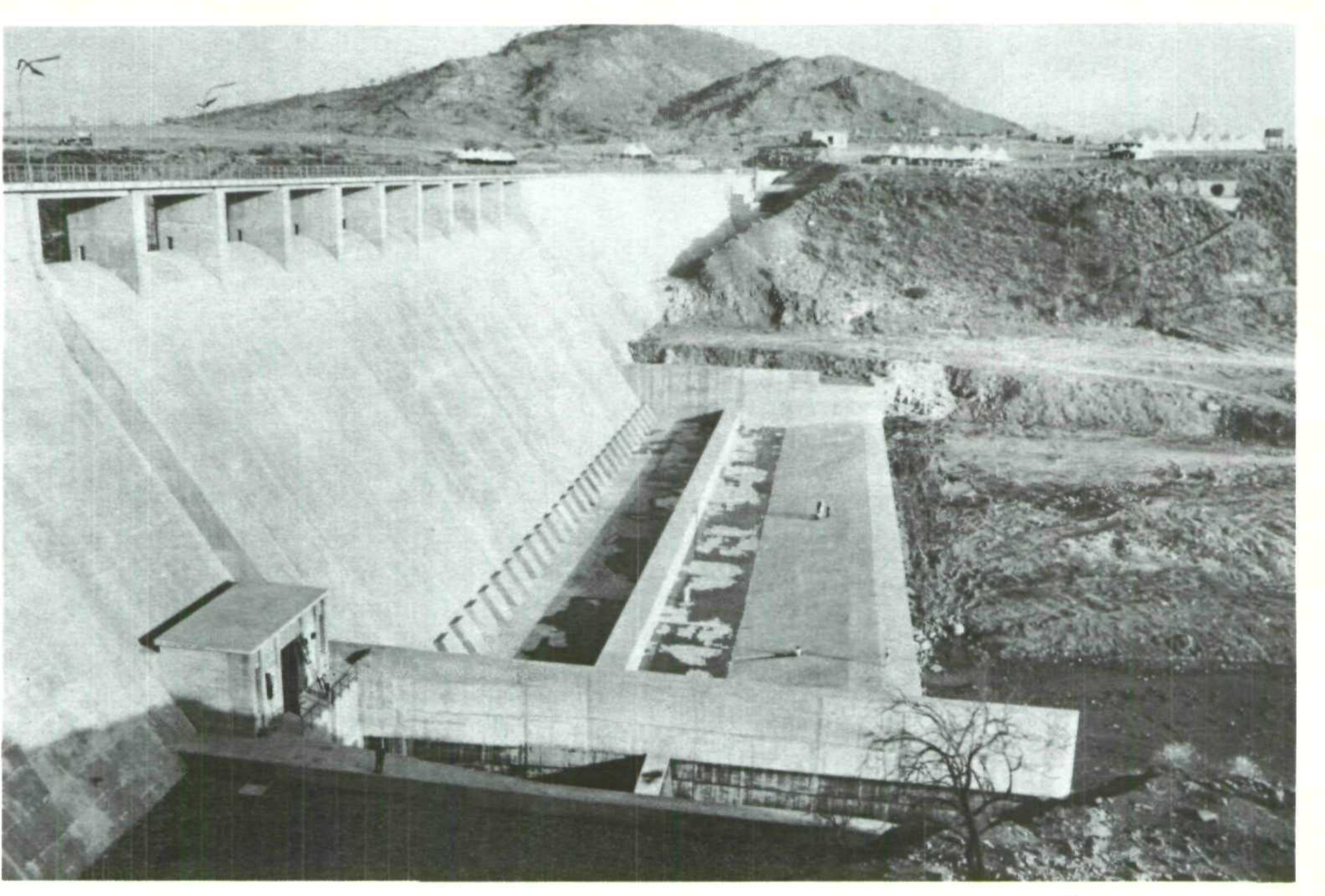
في جازان ما يقرب من أربعمائة قارب تستخدم لصيد الأسماك ، هذا أحدها .

جازان على صفحات التاريخ

لم يرد ذكر جازان بشكل واضح في كتب المؤلفين القدامى ، بل وخلت مصوراتهم الجغرافية من تعيين موقعها ، لأن معظم ما ذكره هؤلاء الكتاب عن بلاد العرب يكاد ينحصر في الأقسام الساحلية الغربية ، وهي بالبداهة أكثر أجزاء الجزيرة اتصالا باليونان والرومان . بيد أن « ديودورس الصقلي – Diodorus Siculus » المتوفى في القرن الآخر قبل الميلاد ذكر في كتابه المعروف بالمكتبة التاريخية – « Bibliotheca Historica » أن بلاد العرب أرضون واسعة تسكنها شعوب وقبائل عديدة ، من جملتهم « Gasandi » . ويرى المؤرخ « جلاسر – Glaser » ، أن المراد بهذه التسمية موضع جازان . كما ذكر « بطليموس – Ptolemy » اسم قبيلة سماها « Gassanitae » ، ويظهر أنه قصد القبيلة ذاتها التي ذكرها ديودورس . وهذا « سترابو – Strabo » الكاتب الجغرافي المعاصر لديودورس يذكر في كتابه « Geographia » شيئا مماثلا لما ذكره ديودورس ، وقد أورد في معرض وصفه لحملة « أوليوس غالوس – Aelius Gallus » الفاشلة لغزو بلاد العرب للاستيلاء على ثرواتها التي اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والأفاويه والحجارة الكريمة ، بتكليف من الامبراطور الروماني ، « أغسطس قيصر » ، أورد أسماء مدن كثيرة مر بها ، منها « Negrana » أي



تشتهر جازان بصناعة قلل الماء الفخارية التي تمتاز بفتحة ضيقة في أعلاها وفتحة جانبية لتركيب صنبور عليها .



منظر عام لسد جازان وقد بدأ الماء يتدفق من فتحاته بعد تدشينه ، وترى بعض المنشآت الملحقة به .

نجران ، و « Nesca » أي « نشق » ، وتعرف اليوم باسم « البيضاء » ، وغيرهما . ولا يستبعد أن يكون « غالوس » قد مر بكثير من مدن منطقة جازان المعروفة آنذاك . والمعروف ان هذه المنطقة كانت مسرحا لدول معين وسبأ وقتبان وحمير ، تمر بها تجارتهم المتجهة شمالا .

أما اسم جازان فقد أخذ يتردد بصورة واضحة على الألسنة منذ صدر الاسلام .. فجاء في حديث نبوي أثبته يحيى بن آدم ، المتوفى سنة ٢٠٣هـ ، في كتاب « الخراج » أن رجلا قال : يا رسول الله اني أحب الجهاد والهجرة وأنا في حال لا يصلحه غيري ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لن يألتك الله من عملك شيئا ولو كنت بضمد وجازان » .

وورد في كتاب « صفة جزيرة العرب » للحسن الهمداني أن من بين الرؤوس على البحر العربي (البحر الأحمر) في هذه المنطقة باحة جازان ورأس عثّر . وجاء في « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، أن جازان موضع في طريق حاج صنعاء . وقال « البكري » في استدلاله على جازان بيتا من الشعر نسب للأحوص ، وقد يكون لأبي دهبل الجمحي :

سقى الله جازانا ومن حل وليه فكل مسيل من تهام وسردد

وكانت منطقة جازان تعرف في القرن الرابع الهجري باسم « المخلاف السليماني »(٢) نسبة الى سليمان بن طرف ، من آل عبد الجد الحكميين ، الذي آلت اليه رئاسة قبيلة حكم ، ثم ضم اليه مخلاف عثّر فيما بعد ، وجعل من بلاد حكم وعثّر امارة واحدة استمرت من عام ٣٧٣هـ الى ٣٩٣هـ على نحو ما هو معروف في كتب التاريخ(٣) . وجدير بالذكر أن اسم جازان قد أصابه شيء من التحريف في هذا القرن فأخذ بعض الناس يقولون « جيزان » بدلا من « جازان » اسمها القديم الذي لا يزال يردده أهالي المنطقة . وقد وجدت بين أهلها من قدّم تعليلا طريفا لاسمها بقوله أنه مؤلف من الكلمتين « جاء » و « زان » واسقطت الهمزة فأصبحت « جازان » ، ومعناها : جاء من أسّس المدينة وزيّنها .

وقد مر بها الرحالة البولوني « لويس فارتيما » أثناء رحلته البحرية في مطلع القرن السادس عشر ، ورأى خمسا وأربعين سفينة راسية في ميناء جازان ، وأدهشه أنه رأى في البلد عنبا وسفرجلا وتفاحا ورمانا وليمونا وبرتقالا بكميات كبيرة بالاضافة الى الحنطة والشعير والذرة البيضاء .

ووصفها الأديب الراحل « أمين الريحاني » في كتابه « ملوك العرب » عام ١٩٢٢ بقوله : « وصلنا الى جيزان بعد الظهر ساعة الجزر ، فانكشفت

---

(٢) المخلاف ، وجمعها مخاليف ، بمعنى الأقليم أو المقاطعة .

(٣) راجع « تاريخ المخلاف السليماني » للمؤرخ محمد بن أحمد عيسى العقيلي .



شق الطرق المعبدة من المشاريع الحيوية التي ستربط جازان بغيرها من المدن الأخرى .

أمامنا ، ونحن في السنبوك ، بقعة من الأرض سوداء بين الشاطىء والماء . وكان اجتماعنا دائما ليلا لأن الحر في جيزان لا يأذن أبداً بالتجوال ، أو بأقل الأعمال نهارا . خبرت الحر في أماكن كثيرة ، فما وجدت حرا جامعا محاسن الحر كلها ، وفي أعلى درجة منها مثل حر جيزان . ان الشمس ها هنا قريبة جدا منك ، كأنها على الأرض تشتعل ، فترسل أشعتها عكسا الى كبد السماء » . ويبدو من وصف الريحاني أنه زارها في أشد أشهر الصيف حرارة وقيظا ، اذ تتراوح الحرارة فيها بـــين شهري مايو وسبتمبر بين ٣٥ و ٤٢ درجة مئوية ، والرطوبة تقل عن ٨٥ بالمائة ، أما في الشتاء فيختلف معدل الحرارة بين ٢٥ و ٣٥ درجة مئوية .

جازان اليوم

شتان بين جازان الأمس وجازان اليوم .. هي اليوم مدينة آخذة بأسباب التقدم والتطور ، فبينما كان معظم بيوتها من العشش المخروطية الشكل حتى العقدين الآخيرين من هذا القرن ، نجدها الآن تشهد حركة عمرانية واسعة ، فقد نسقت طرقاتها ووسعت ، ورصفت شوارعها وأنيرت .

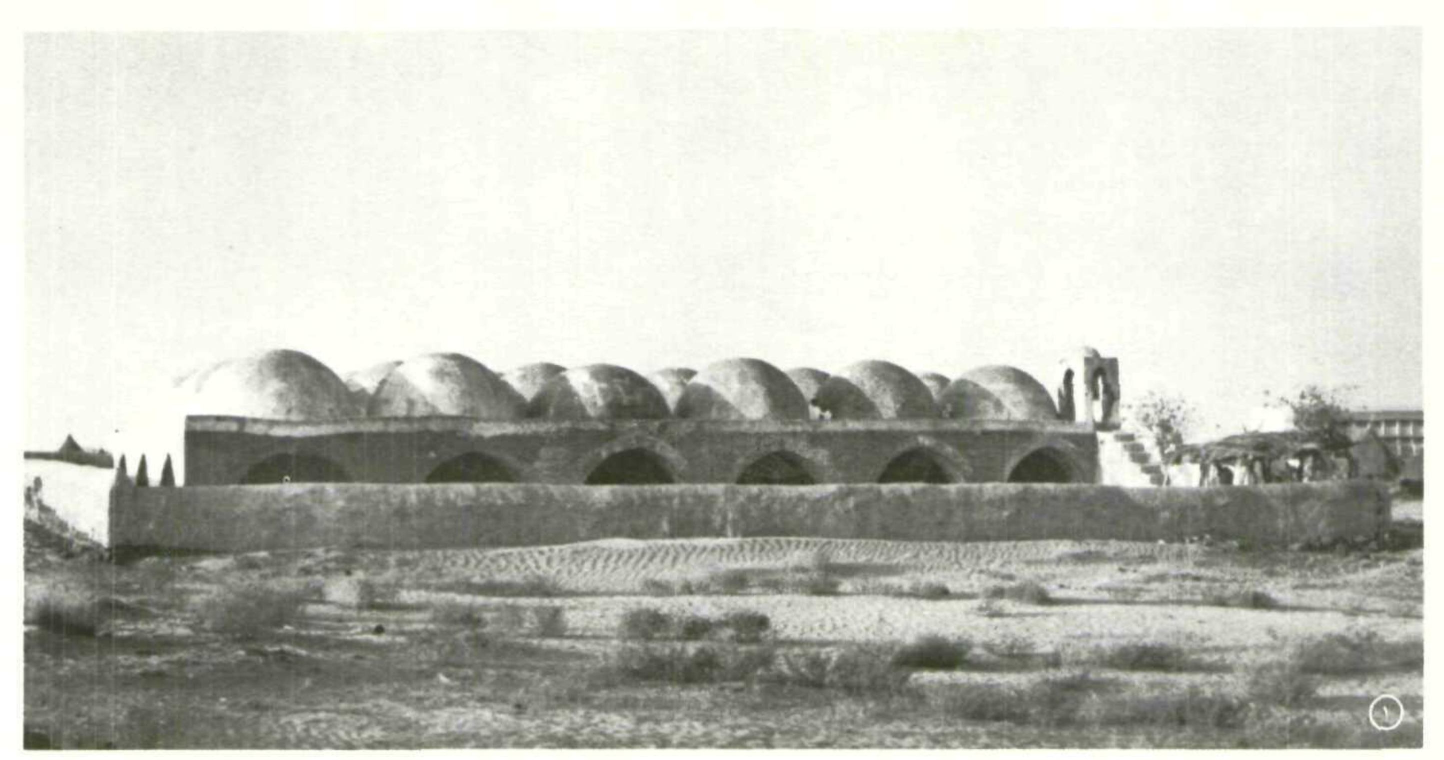
أما من الناحية الادارية فمدينة جازان تضم الأمارة المركزية ، ويتبعها ٢٩ امارة فرعية موزعة في قرى المنطقة الرئيسية ، كما تضم الادارات الحكومية المختلفة من أمن ، وزراعة ، وصحة ، وتعليم ، وتجارة ، ومواصلات ، وعدل ، ومالية ، وعمل . وتوجد فيها الفنادق وفروع البنوك وفرع مؤسسة الخطوط الجوية السعودية .

وقد كانت جازان في الماضي تعاني من قلة مياه الشرب ، فكان الأهالي يعتمدون على الآبار والحفائر التي كانوا يحفرونها على مقربة من المدينة ، الا أن ماءها غالبا ما يكون ملحا . ومن أهم هذه الآبار بئر اسمها « العميرية » تقع على بعد ٩ كيلومترات الى الشرق من جازان . ثم تم حفر أربع آبار أرتوازية في مكان يقال له «الماطري» ، وانشىء خزان ضخم على مقربة منها ، وجلب ماؤها الى جازان بواسطة ثلاثة خطوط من الأنابيب متوسط قطر الواحد منها ٢٥ سنتمترا . كما أنشىء في المدينة أربعة خزانات لتوزيع المياه على المنازل ، وبذلك سدت حاجة هذه المدينة من الماء بصفة دائمة . وكان لهذا أثره العظيم في انعاشها واتساع عمرانها وانتشار الرخاء فيها .

وأول ما يطالع المقبل على مدينة جازان من ناحية المطار ، حي « المطلّع » ، وهو مدخل المدينة ، حيث يسير في شارع الملك عبد العزيز الذي تنتشر على جانبيه الحوانيت والمقاهي التي تغص بروادها في المساء يشربون الشاي الممزوج بالشمطري ، الى أن يواجهه مبنى البلدية القابع في أعلى شارع الملك فيصل الذي يتجه غربا ، الى أن يفضي الى الميناء . ويعتبر هذا الشارع قلب المدينة النابض ، اذ تقوم على جانبيه المحلات التجارية .

فاذا ما شعر بالتعب من التجوال بين حوانيت البزازين ، وما أكثرهم في هذا الشارع ، فما عليه الا أن يسلك شارع « مصلى العيد » الذي يبدأ من مكتب الامارة ، ويتجه جنوبا الى حي الجبل الذي يحتضن أبنية جميلة ، من بينها قصر الأمير تركي السديري ، والد الأمير الحالي للمنطقة . في هذه المنطقة يلحظ سوقا للأواني الفخارية وأخرى للمظلات « قبعات الخوص » والحصر والمفارش وسجاجيد الصلاة والحبال والزنابيل المصنوعة من السعف ، وبعض النباتات والحشائش كالحلفاء والطفي والصافي والمشل وغيرها . ويشتهر أهالي منطقة جازان بصنع قبعات الخوص التي يرتديها الفلاحون منهم لتقيهم غائلة الحر اللافح في فصل الصيف ، ويتراوح ثمن الواحدة منها بين خمسة ريالات وعشرين ريالا ، تبعا لنوعها وشكلها وطريقة صنعها . وعلى مقربة من هذه السوق يرتفع جبل الملح الذي تقوم عليه بعض منازل المدينة . ولقد قامت بعثة كندية بحفر تلك المنطقة ، فعثرت على كميات كبيرة من الملح تقدر بنحو ٥٠٠ مليون طن . وتوجد هذه الكميات في طبقات تمتد الى عمق عشرين مترا تحت سطح الأرض ، وتجري في الوقت الحاضر دراسات واسعة لاستغلال هذه الثروة الضخمة بالأساليب الحديثة . ويقوم الأهالي حاليا بتفتيت صخور الملح بطرق بدائية وتعبئتها في أكياس من الخيش يباع الواحد منها بأربعة ريالات لأهل جازان والقرى المجاورة . من هناك تصافح ناظريك « قلعة الدوسرية » تتربع على جبل في وسط المدينة وتطل على الميناء ، وهي قلعة تركية على الأرجح .

ويشتهر أبناء جازان بصناعة قوارب صيد الأسماك وخاصة السنابيك . ويبلغ عدد القوارب في مينائها ما ينوف على أربعمائة قارب ، تستخدم حاليا في صيد الأسماك المختلفة من مياه البحر الأحمر ، وقد كانت ، حتى وقت قريب ، تستخدم في صيد اللؤلؤ . ومن أشهر الأسماك عندهم :



١ – مسجد أثري قديم على مدخل مدينة « أبي عريش » ذو ثماني عشرة قبة بناه الشريف حمود بن محمد عام ١٢٢٩هـ .

٢ – شارع الملك فيصل حيث تعج المتاجر بأنواع من الملبوسات والكماليات .

الظيراك ، وزين أبوه ، وشَرْواء ، وعقّام ، وصُهبّ ، ومُلوّن ، وتود َاف ، وقرب ، ومنَقّم ، ومسلبه ، وأبو لعالج ، وبياض ، والقرش بأنواعه ، وثمد ، وأبو سلامة (الدلفين) ، والخُوته ، وقيده ، والطويلة (عروس البحر) ، وبُتّان وهي من الأسماك الضخمة التي يتراوح طول الواحدة منها بين ٣ و ٥ أمتار . ويشتغل أهالي جازان بالتجارة والصناعة اليدوية وفي الوظائف الحكومية المختلفة ، أما باقي سكان المنطقة فيشتغلون بالزراعة وتربية المواشي .

وفي الصباح الباكر تشاهد سيارات « الجيب » والابل محملة بالخضروات والفواكه الطازجة من القرى المجاورة لتفرغ أحمالها في سوق الخضار بالقرب من مبنى البلدية ، وهي تباع بأسعار رخيصة جدا حتى أن الكيلوغرام الواحد من الطماطم يباع بثلاثة قروش سعودية .

جازان ممر حيوي

ليس غريبا أن تصبح جازان بحكم موقعها ممرا حيويا للرائح والغادي ، ومحطة يلتقي فيها المسافرون على الطرق البرية والبحرية على حد سواء . ولهذا بادرت وزارة المواصلات بربط هذه المدينة بشبكة من الطرق . ويجري العمل حاليا على تعبيد الطريق الرئيسي الذي يربط جازان بصبيا وأبها والطائف ، وهو طريق يبلغ طوله ٧٧٥ كيلومترا . كما سيعاد تمهيد الطريق الذي تعطّل بفعل السيول والذي يربط جازان بأبي عريش والسد ويمتد الى الجبال . ولا شك ان هذه الشبكة من الطرق تسهل نقل حاصلات البلد الزراعية الى المناطق المجاورة . كما ان العمل جار الآن على توسعة ميناء جازان الذي يكلف نحو ١٥ مليون ريال . وقد بدأ العمل في منتصف عام ١٩٦٧م بانشاء جسر حجري يمتد من الساحل الى البحر مسافة ٦٢٥ مترا ويتفرع منه رصيفان طول أحدهما ١٢٧ مترا ، والآخر ٦٠ مترا ، ويبلغ عمق المياه عندهما سبعة أمتار .والمشروع في مراحله النهائية وقد أوشك على الانتهاء .

وبالاضافة الى ذلك تقوم وزارة المواصلات بدراسة لانشاء أربعة أرصفة أخرى للميناء واقامة عنابر ضخمة ومنشآت اضافية تقدر تكاليفها بمبلغ ١٢٠ مليون ريال . وسيتسنى لهذا الميناء بعد هذه التوسعة استقبال السفن الضخمة ، وسيسهم الى حد كبير في تصدير الحبوب والمواشي والجلود والأسماك المجففة والسمن الى مصوع وعدن والسودان وينبع وأملج وغيرها . وفي مجال النقل الجوي فان طائرات مؤسسة الخطوط الجوية العربية السعودية تربط مدينة جازان بأمهات مدن المملكة برحلات يومية منتظمة .

وفي حديث خاص مع معالي أمير جازان الشاب محمد بن تركي السديري ، قال : « ان منطقتنا ، بفضل المشاريع الانمائية العديدة ، وفي طليعتها سد وادي جازان الكبير ، مقبلة على نهضة مباركة ستبدل ولا شك ملامحها . واني لأتصور جازان خلال فترة قصيرة مدينة كبيرة مزدهرة لا تقل بحال عن أية مدينة رئيسية في المملكة . »

سد وادي جازان

هو أضخم سد تم بناؤه في المملكة العربية السعودية . وقد احتفل رسميا بتدشينه في يوم الاثنين ٢٥ المحرم ١٣٩١ ، وقام بافتتاحه صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ، قائلا : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، في هذا اليوم المبارك نفتتح سد وادي جيزان نيابة عن جلالة الملك المعظم وأرجو من الله أن يكون فاتحة خير وبداية مشاريع لهذه المنطقة وجميع مناطق المملكة العربية السعودية .** »

وقد لخص معالي وزير الزراعة والمياه ، الشيخ حسن مشاري ، الأهداف والفوائد التي ستجنيها المنطقة من وراء اقامة هذا السد بقوله : « ان انشاءات السد ما هي الا جزء من مشروع متكامل لتطوير الزراعة بالمنطقة ، تدخل فيه انشاءات شبكة للري والصرف ، كما تدخل فيه أعمال استصلاح الأرض والبحوث والارشاد الزراعي ، وتقديم العون الفني والعيني للمزارعين . وبهذا يكون الهدف النهائي للمشروع ككل ، هو توفير المياه اللازمة للزراعة ، وزيادة مساحة الأرض المزروعة والمروية ريا دائما ، بما يتصل بكل ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية تتمثل في رفع مستوى انتاج الأرض والعاملين فيها ، وفي زيادة في الدخل وفي فرص العمل . »
وقد القى الشاعر فؤاد شاكر قصيدة في الحفل الذي أقيم لافتتاح السد ، نقتطف منها ما يلي :

تألق ، في يومه الأمثل — بناء على صرحه يعتلي
تتيه على دهرها ، المقبل — به اليوم « جازان » مزهوة
ولا السيل يمضي ، ولا يأتلي — فلا البحر يشرب من مائها
ولكنه « السد » قيد المياه ، فأمواجه فيه كالجدول
ويحيي به الله في كل أرض ، مواتا من الجدب ، والممحل
رحيق حلال من السلسل — ويسقي ، ويسقى بأثباجه

كما ألقى الشاعر محمد علي السنوسي قصيدة بالمناسبة ، جاء فيها :

ذهبي السنا زكي الورود — أمل لاح في سماء الوجود
كالأزاهير في الربيع الجديد — مشرق كالضحى على الأفق زاه
نابض بالحياة نبض الوريد — انه « السد » وهو للخير فتح
(جازان) ضافيات البرود — لبسته تألقا واذ آلت فيه
تتهادى به الأماني على أنغام لحن من عزف عصر سعيد
لغد أسعد وعيش رغيد — وأظلت رؤاه أضواء (فجر)

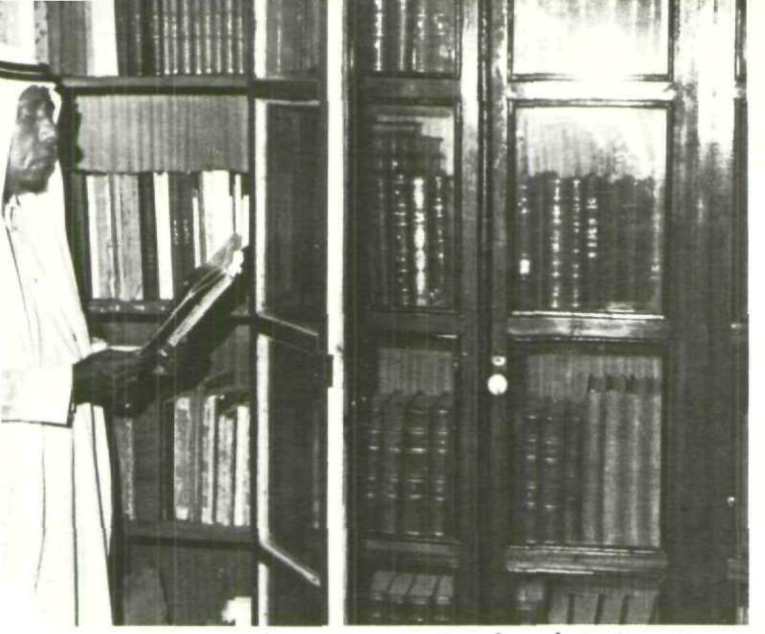
الزراعة في جازان

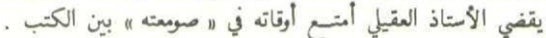
تمتاز منطقة جازان بارتفاع معدل هطول الامطار فيها نسبيا ، فيبلغ على الساحل نحو ٢٠٠ ملم في السنة ، ثم يزداد كلما اتجهنا شرقا وصعدنا في الجبال ليبلغ ٦٠٠ ملم في السنة . وتهطل الأمطار على المنطقة في موسم الصيف خلال شهري يوليه وأغسطس ، وفي موسم الشتاء خلال شهري فبراير ومارس . وتشكل الأمطار هناك سيولا تنحدر الى الأودية ، وتأخذ طريقها عبر السهل الساحلي الى البحر الأحمر . والمعروف عن الفلاح الجازاني انه نشيط ومثابر .. يقيم « العقوم »(٤) ، للاحتفاظ بالمياه وتحويلها الى المزارع وقت الحاجة . وكثيرا ما يحدث أن تتعرض هذه الحواجز الى الانهيار أمام السيول القوية الجارفة . وقد توزعت الزراعة عامة في المنطقة بين النوع البعلي ، الذي يعتمد على مياه الأمطار ، وبين الزراعة المروية ، التي تعتمد على نظام الري الحوضي من مياه السيول والوديان . وكلا النوعين لا يوفر للزراعة أسباب الانتظام والاستقرار . ولهذا كان المزارع الجازاني يعاني الكثير من الأحوال المناخية المتقلبة .

(٤) العقوم : حواجز ترابية أو حجرية يبلغ طول بعضها ٣ كيلومترات وارتفاعه ٣ أمتار .



تلاميذ فصل العلوم يصغون باهتمام للمدرس وهو يشرح لهم تجربة علمية في المختبر .





يقضي الأستاذ العقيلي أمتع أوقاته في « صومعته » بين الكتب .

ونظرا لخصوبة الأرض بادرت وزارة الزراعة والمياه بحكومة المملكة العربية السعودية الى دراسة موارد المياه والتربة بالمنطقة ، بالتعاون مع منظمة الأغذية والزراعة الدولية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة . وقد أسفرت تلك الدراسة عن ضرورة اقامة سد كبير يعول عليه في تطوير الموارد الزراعية في المنطقة . وقد بوشر في انشاء السد في مطلع عام ١٩٦٧ ، وبلغت تكاليفه حوالي مائة مليون ريال ، وعمل فيه ٩٠٠ مواطن سعودي من أبناء المنطقة بين اختصاصيين وعمال عاديين بالاضافة الى ٥٠ أوروبيا بين فنيين ومهندسين . وقد أدت روح التعاون بينهم الى نجاحهم المرموق باقامة سد يعتبر عملا فنيا كاملا يضاهي من الناحية الفنية أي عمل انشائي مشابه في العالم . كما أدى ذلك التعاون الى تدريب عدد كبير من المواطنين على الأعمال الفنية الحديثة . وقد وقع الاختيار على وادي جازان لاقامة السد عليه لعوامل كثيرة ، منها : توسطه في المنطقة ، ووقوع ما لا يقل عن ١٠٠ قرية زراعية عليه ، وفي مقدمتها قرية « أبي عريش » مركز الانتاج الزراعي ، وكونه من فحول الأودية في المملكة ومن أكثرها تمثيلا لأوضاع المنطقة الجغرافية والهيدرولوجية . ويقوم السد الذي يبلغ طوله ٣١٦ مترا ، وارتفاعه ٤١,٦٠م ، وعرضه عند القاعدة ٤,٤٠م وعند القمة ٣,١٥م في مكان يسمى « ملاكي » يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٣٥ مترا بين جبلي المفقع أم سقبان من الجنوب ، والمرباح(٥) من الشمال . ويبعد السد عن مدينة جازان ٥٦ كيلومترا ، وعن « أبي عريش » ٢١ كيلومترا . وستبلغ مساحة البحيرة الاصطناعية التي تمتد خلف السد حوالي ١٤ كيلومترا مربعا يتجمع فيها حوالي ٧١ مليون متر مكعب من المياه ، يستعمل منها لأغراض الري ٥١ مليون متر مكعب بينما يخصص الباقي لسد حاجة سكان قرية السد النموذجية من الماء . وفي موقع السد ، أقيمت محطة لتوليد الطاقة الكهربائية ، وأخرى لتقطير المياه . ومن المتوقع أن يؤدي هذا السد باعتباره المرحلة الأولى من مشروع تطوير وادي جازان ، الى زيادة الأراضي المروية ريا دائما بحوالي ٨٠٠٠ هكتار ، بالاضافة الى تحسين نوعية المحاصيل الزراعية وزيادة انتاجها . كما سيصبح في الامكان تطوير بعض الصناعات الزراعية والريفية الكفيلة باتاحة فرص العمل للمواطنين . أما المرحلة الثانية من المشروع فهي ذات شقين : أولهما انشاء محطة للتجارب والأبحاث الزراعية ، والآخر تصميم شبكة مناسبة للري . وقد اختيرت قرية « حاكمة » مقرا لمحطة الأبحاث نظرا لمركزها المتوسط في منطقة المشروع وقربها المناسب من الوادي والسد . وهي تقع على بعد خمسة كيلومترات شمالي « أبي عريش » ، وتمتاز بتربتها الطينية الحمراء الخصبة التي يصل ارتفاع قصب الذرة فيها الى نحو أربعة أمتار . ويربي أهلها الأبقار بأعداد كبيرة ، حتى لا يقل ما يملكه الواحد منهم عن ٣٠ بقرة . والجدير بالذكر أن جميع أراضي منطقة جازان يملكها المواطنون ، الذين يشتغل ٩٠ بالمائة منهم بالزراعة وتربية المواشي من أبقار وأغنام . لذا كان حب الأرض والتعلق بها جزءاً من طبيعتهم . والأراضي رخيصة الثمن في الوادي ، اذ تبلغ قيمة المعاد (٦) في بعض المناطق الزراعية ما لا يزيد على مائة ريال .

غابة النبق في صبيا

قيل لنا ونحن في مدينة جازان : من لم ير غابة النبق في صبيا لم ير شيئا في منطقة جازان . ولم يكن أمامنا سوى الاذعان لذلك الاغراء فيممنا شطرها قبيل أن تجنح الشمس الى خدرها . وتعتبر صبيا القرية الرئيسية في المنطقة بعد أبي عريش ، وتبعد نحو ٣٠ كيلومترا الى الشمال من جازان ، وتقع على حرف الوادي المسمى بأسمها . سلكنا الطريق المعبد الجديد بين مروج خضر زرعت بالبطيخ والخضروات الى أن انتهينا الى تلك الغابة ، فبدت لنا وكأنها لوحة فنية رائعة تضفي على مدخل القرية جمالا وبهاء .. وهي تحيط بالقرية من الجنوب والغرب ، وتمتد مسافة خمسين كيلومترا من الساحل غربا الى سفوح الجبال شرقا ، ويبلغ عرضها حوالي خمسة كيلومترات . ويجمع الأهالي ثمار النبق ويسمونه « الكين » ويأكلونه أخضر أو مجففا . وفي صبيا الجميلة يقول الشاعر القاسم بن علي الذروي :

---

(٥) يسمى بذلك لكثرة الربابيح « القرود » فيه .

(٦) المعاد يساوي ٣٦٠٠ متر مربع .



بعض المخطوطات النادرة التي تضمها مكتبة الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي .

من لصب هاجه نشر الصبا — لم يزده البين الا نصبا
وأسير كلما لاح له — بارق القبلة من « صبيا » صبا

أما الشاعر المؤرخ « محمد العقيلي » فقد استلهم من غابة النبق قصيدة تعتبر من عيون الشعر العربي ، منها قوله :

ودوحة « السدر » تبدو في جلالتها — شماء سامقة الأفنان « كالقبب »
تقنعت بصفيق «الخز» واشتملت — مطارفا من نسيج الغيث والسحب
والشمس من خلل الأغصان ناظرة — كليلة الطرف في شيء من الغضب
فاضت أشعتها كالتبر ذائبة — على نثير دموع الطل في القصب
يذرى النسيم جمانا من معاطفها — يحكي سقيط دموع الخرد العرب

وبين صبيا القديمة الغربية وصبيا الجديدة الشرقية أطلال مدينة الادارسة التي يحيط بها سور متداع . والمنازل فيها مبنية بالحجر الأسود البركاني والآجر الأحمر الزاهي اللون ، وتزدان واجهة كل منزل بالزخارف والنقوش البديعة من الجبس وبنوافذها الواسعة المقنطرة . وتشتهر صبيا بسوقها التي تقام يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، حيث يرتادها أبناء القرى المجاورة .

العشيش في أبي عريش

تقع « أبو عريش » الى الشرق من جازان على بعد ٣٥ كيلومترا منها ، ويربطها بها طريق معبد دمرته السيول ، ويجري العمل حاليا على تعبيده من جديد . سميت بذلك نسبة الى رجل صالح ابتنى فيها عريشا في القرن السابع الهجري ، كان يقصده الناس لطلب العلم . وتمتاز هذه القرية بموقعها المتوسط في وادي جازان ، وبعششها الفريدة . ويمر الذاهب من جازان الى « أبي عريش » بمزارع الخضراوات ، وخاصة الطماطم ، الذي يصدره الأهالي الى أبها في شهري فبراير ومارس ، وبساتين البرتقال والليمون الناشئة . وكان أول ما شاهدناه على مدخل القرية مسجد قديم ذو ثماني عشرة قبة مبني بالحجارة السود والحمر البركانية ، ومقصور من الخارج بالجبس ، وقد بناه الشريف حمود بن محمد الملقب بـ « أبي مسمار » عام ١٢٢٩هـ . وقد خيل لنا ، ونحن ندخل « أبا عريش » أننا أمام قرية كئيبة من قرى افريقيا ، لكثرة عششها المخروطية الشكل . وما أن أتيح لنا أن ندخل « عشة » حسن خالد ، رئيس قسم الموظفين في الشؤون الصحية في جازان ، حتى اختلفت هذه الصورة في أذهاننا ، ورأينا « العشة » في أبي عريش » تتسم بالبساطة والجمال ، ودقة الزخرف وبهاء الألوان ، فضلا عن أسلوب البناء . وبعد أن أخذنا أماكننا على الأرائك الخشبية الوثيرة التي ازدانت بها عشة السيد « حسن خالد » ونحن نرتشف الشاي بالشمطري . قال حسن : هذه العشش جزء من تراثنا ، ويفضلها الأهالي على المنازل المبنية بالاسمنت المسلح ، لأنها تحفظ البرودة في الصيف والحرارة في الشتاء . وتكلف العشة الواحدة حوالي خمسة آلاف ريال . ويصل ارتفاع العشة الضخمة المخروطية الشكل أحيانا الى ١٢ مترا . أما طريقة بنائها فيبدأ بحفر أساس دائري الشكل توضع فيه أخشاب من شجر العرج والبشم والسمر والعرعر والظبر التي تنمو في الجبال ثم يجري حشوها بأخشاب صغيرة من الطلح والاثل والمض تربط بعضها البعض بواسطة الحبال ، ثم يقوم « المعلم » بتسديد الثقوب من الداخل بنوع من الحشائش يسمى المرخ ومن الخارج بالتمام والاجليل ، وبعد ذلك يبدأ بتزيين العشة من الخارج بحبال مجدولة من الحلفاء ، تمهيدا لكسوها بنوع من الطين الخاص ثم بمسحوق من الحجر الجيري المخلوط بالنيلة . ومن ثم تصبغ العشّة من الداخل بالألوان الزيتية ، حيث يستعمل غالبا اللون البرتقالي لثلثها الأسفل ثم اللونان الأخضر والأحمر على شكل خطوط دائرية تصل الى رأسها . ويتفنن صاحب العشة بتزيينها من الداخل بتعليق الزنابيل الصغيرة ، وسجاجيد الصلاة ، والمكاحل المصنوعة من الخصف والمحلاة بالخرز أو الصدف البديع الألوان ، والأطباق الملونة من المعدن الخفيف على الجدران والرفوف ، فاذا ما هبت الريح صدرت عنها أنغام شجية . ولكل عشة بابان ، أحدهما يماني والآخر شامي ، وهي تعمر حوالي ٣٥ سنة ، وتسيّل (ترمم) بالحشائش والحبال كلما لزم الأمر .

وفي « أبي عريش » لا يخلو بيت من شجرة فل تعطر الجو بأريجها . والسر في ذلك ، كما قيل لنا ، هو أن من عادات الزواج عندهم وضع حزام سميك من زهر الفل حول خصر العروس . وقد وصف أحد الشعراء أبا عريش بقوله :

عج بوادي الهضاب في الاسحار وترنم هناك بالأوتار
بربا « بي عريش » حيث الغواني لابسات الحجول والأسوار
الصبا والصبا بها يا معنى وطلوع البدور والأقمار
ليت شعري بها أكون دواما أتمشى في حلة الجلنار

والجدير بالذكر أن أهالي أبي عريش والقرى المجاورة يتحلون باللطف والبشاشة والكرم والبساطة ، فاذا ما حللت بينهم لن تفلت من مجالسهم العربية الأصيلة ليقدموا لك الفاكهة وعلى رأسها الموز الأخضر الذي يغرسونه بكثرة ، ثم يعقب ذلك الشاي المعطر والقهوة العربية .

التعليم والحركة الفكرية

تواكب النهضة الزراعية والعمرانية في المنطقة نهضة أخرى لا تقل عنها شأنا هي النهضة التعليمية . فالمدارس على كثرتها تضيق بالطلاب نظرا للاقبال الشديد على التعليم . ففي منطقة جازان اليوم ٦٧ مدرسة ابتدائية للبنين و ١٤ مدرسة للبنات ، و ٤٨ مدرسة ليلية لمكافحة الأمية ، و ٩ مدارس متوسطة . هذا بالاضافة الى مدرسة ثانوية . ومعهد ثانوي للمعلمين ، ومعهد متوسط للمعلمات ، ومعهد علمي في مدينة جازان . وتضم هذه المدارس ما يربو على ١٨٠٠٠ طالب وطالبة في مراحل التعليم المختلفة . وقد أنشئت أول مدرسة في جازان في عهد المغفور له الملك عبد العزيز في سنة ١٣٥٥هـ ، وسميت باسم « المدرسة العزيزية » . ولم يكن في جازان قبل ذلك مدارس نظامية ، بل كتاتيب ومدارس أهلية يقوم بالتعليم فيها شيوخ من أهل العلم .

ومما يدعو الى الاعجاب ان منطقة جازان تضم بين ربوعها عددا من الشباب المثقف الذين يتطلعون دوما الى مواصلة الدرس والتحصيل . فهنالك نسبة كبيرة منهم يتلقون تحصيلهم الدراسي في جامعات المملكة العربية السعودية والجامعات العربية والأوروبية والأمريكية . ومن بين أبنائها الذين أسهموا في ارساء قواعد الحركة الأدبية والفكرية في المملكة المؤرخ البحاثة والشاعر محمد العقيلي الذي كرس جهوده لابراز تاريخ جازان التي نشأ فيها وترعرع ، فألف كتابه « تاريخ المخلاف السليماني » الذي يعتبر مرجعا مهما لاحداث المنطقة وتطورها . واذا ما دلفت الى مكتبته ، أو صومعته ، كما يحلو له أن يسميها ، تجده يفتح لك قلبه الكبير ويطلعك على المخطوطات النادرة التي في حوزته والتي يبلغ عددها زهاء أربعين مخطوطة ، والتي يأمل أن تتبنى احدى المؤسسات العلمية طبعها ونشرها . ومن أقدم هذه المخطوطات مخطوطة « ديوان السلطانين سليمان والخطاب الحجوريين » وعمرها ٨٠٠ سنة . وللعقيلي مؤلفات أخرى عديدة منها « شرح وتحقيق ديوان القاسم بن هتيمل » . وابن هتيمل هو من أبناء ضمد . وفضلا عن كون العقيلي مؤرخا وأديبا فهو يعد في طليعة شعراء المملكة النابهين . ومن أدباء جازان أيضا « هزار الجنوب » الشاعر محمد علي السنوسي الذي يأسرك بابتسامته الرقيقة ولطفه المعهود وشراب اللوز الذي يقدمه لك . ثم تسمع منه بعضا من « أغاريده » ويطوفك « بقلائده » ويحدثك عن شؤون الشعر في كتابه « مع الشعراء » . وشعر السنوسي ينبض بعاطفة صادقة تلمسها في كل بيت ، بل في كل كلمة ، ولا يقتصر نشاط السنوسي على الشعر ، فله أيضا صولات وجولات في الأدب النثري .

الخدمات الصحية

في مدينة جازان مستشفى مركزي ضخم مجهز بالمعدات الحديثة ، بلغت تكاليفه زهاء خمسة ملايين ريال ، وهو يتسع لحوالي ١٥٠ سريرا . ويوجد في حي المطلّع مستشفى يعمل فيه خمسة أطباء ، كما توجد مستوصفات في قرى جازان الرئيسية ، ومراكز صحية عديدة . ومن المتوقع افتتاح مستشفى صبيا الجديد قريبا . ويجري حاليا انشاء مستشفى في أبي عريش ، وآخر في « الخصاوية » وتجهيزه بالمعدات لاستعماله كمصح للأمراض الصدرية .

الأسواق الدورية

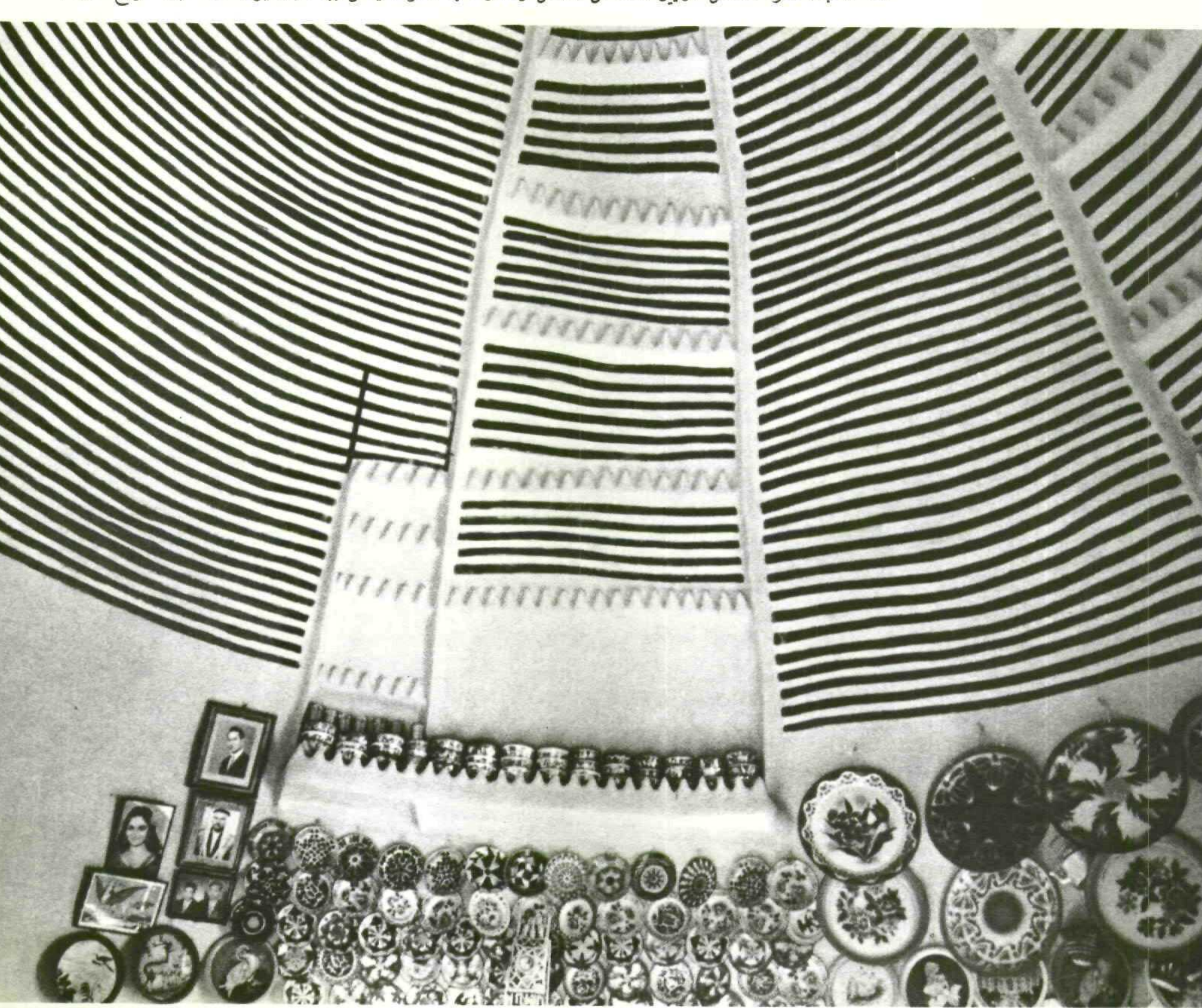
ظاهرة اجتماعية فريدة قل أن نجدها في منطقة أخرى من المملكة ، تلك هي اقامة أسواق دورية طوال أيام الأسبوع في قرى جازان الرئيسية ، وهي أسواق نشطة يهرع اليها عدد كبير من أهالي المنطقة للبيع والشراء من جهة ، وللمتعة من جهة أخرى . ومن أنشط هذه الأسواق الدورية سوق يوم الخميس في العارضة ، التي يؤمها الناس من كل حدب وصوب ، فهي من أجمل البقاع الجبلية في مقاطعة جازان . وتقع العارضة وراء سد جازان مباشرة على بعد بضعة كيلومترات منه ، حيث تكسو الأشجار البرية سفوح الجبال . وعلى مقربة من العارضة عين حارة يقصدها الأهالي للاستشفاء في مياهها المعدنية . ويرتاد سوق العارضة الريفيات وأبناء القبائل من جبال سلا ، وقيس ، وبني حريص ، وحقو ، وفيفاء ، حيث يجلبون اليها المواشي ، والعسل المصفى المعبأ في قوارير صغيرة ، والسمن الطبيعي ، والفواكه والحبوب ، وبعض المصنوعات اليدوية كالفناجين الخضراء اللون المصنوعة من الصلصال ، وجرار الماء ذات الأفواه الضيقة ، والصحون الخشبية المزخرفة المصنوعة من جذوع شجر الاثل ، والزنابيل ، والقبعات ، والمفارش المصنوعة من الخصف والحلفاء ، والحلي الفضية والذهبية كالأوضاح والذباليل والشعيريّات ، بالاضافة الى « الخضر » .

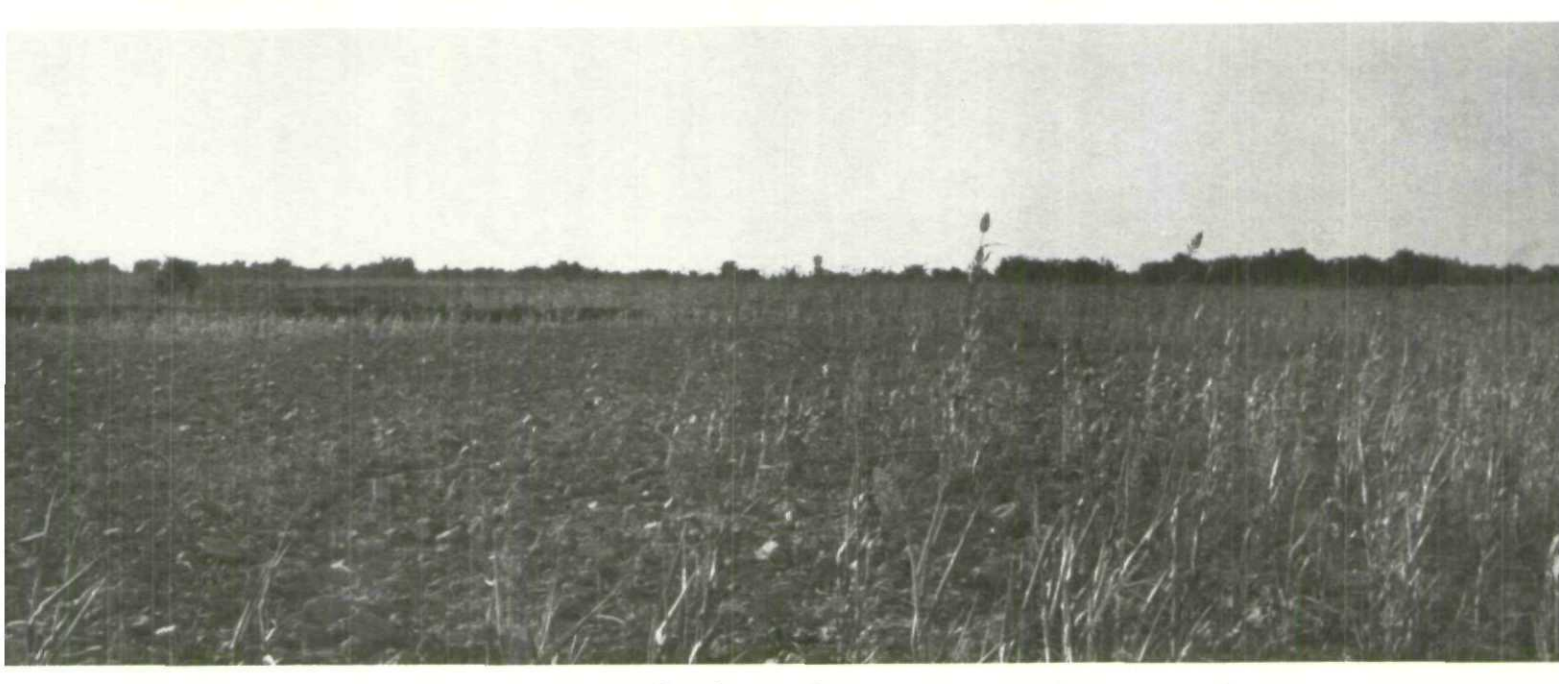
الحياة الاجتماعية

فضلا عن ارتياد المقاهي في المساء لشرب الشاي بالشمطري ، يقضي الكثيرون من أبناء مدينة جازان عطلهم الأسبوعية على الشواطىء أو في المزارع القريبة أو على الجبال المكسوة بالأشجار الكثيفة حيث الشلالات المتدفقة والهواء العليل . وقد أنشئت محطة للاذاعة في جازان ، كما ينتظر قريبا انشاء محطة للتلفزيون تغطي المنطقة .

ولأهالي المنطقة تقاليد موروثة ، لعل من أجملها ما يتعلق بأفراح الزواج .. فالشاب الجازاني لا يدخل في حسابه مهر عروسه وتكاليف حفل الزفاف ، وكل ما يفعله ، بعد أن يتم عقد الزواج ، هو أن ينصب في صحن منزله « الخدره » وهي أشبه بسرداق كبير من الأشرعة

هذه الأطباق الملونة تستعمل لتزيين العشة من الداخل وتصدر عنها أصوات يأنس بها الجازانيون كلما هبت الريح عليها .





تزرع مساحات شاسعة بين أبي عريش ، وحاكمة بالذرة التي يصل علوها أحيانا الى أربعة أمتار ، نظرا لخصوبة الأرض .

والأعمـــدة ، يشارك في اقامته الأصدقاء والأقارب . ثـــم تصف الكراسي الخشبية العريضة العالية في جنبات « الخدرة » استعدادا ليوم « المقيل » ، أي وليمة الزفاف نهار الجمعة . وعند الانتهاء من رفع « الخدرة » يؤدي الحاضرون رقصة « الكاسر » التي تتميز بأغانيها وألحانها البحرية . وفي يوم « المقيل » تبسط الموائد وتدار القهوة القشر المحلاة بالسكر وأكواب الشاي المعطر على الحاضرين ، ويفعم جو الحفل بالبخور والطيب والعطور . ويتخلل ذلك رقصات شعبية ، أشهرها : « السيفي » ، وهي رقصة صامتة تبدأ بقرع الطبول قرعا حماسيا مشجعا ويقوم بالرقص شخصان بيد كل منهما سيف مسلول يلوح به في حركات بارعة ، والدّلع وهي رقصة شعبية جماعية يصطف الرجال في شبه نصف دائرة يتوسطهم شاعر من شعراء الزجل يرددون أناشيده على قرع « الزلفة » ، و « المردّة » ، والزيفة التي يقف فيها الرجال في صفين متقابلين ينتقل بينهما الشاعر ، ويبدأ الرقص على قرعات الطبول بحركات بطيئة . وفي يوم « المقيل » تنهال على العريس المعونات السخية التي تغطي نفقات الزواج ، وتزيد . وحري بالذكر أنه في الليلة السابقة لحفل الزفاف يقوم أهل العريس بعرض ما أحضره العريس لعروسه من ثياب وحلي ، وتقوم النساء برقصة تسمى « النشيرة » .

ومن الأكلات التي يشتهر بها الجازانيون « المرسّة » : وهي طبق من الحلوى يتألف من الدقيق المضاف اليه الموز المهروس والسمن والعسل ويخبز في « الميغا » أي التنور المصنوع من الصلصال ، و « المغش » ويتألف من اللحم والبهارات والبصل التي توضع في قدر ينحت من الصخور البركانية ، ثم يوضع القدر في « الميغا » ، ويحكم غطاؤه الذي يطلقون عليه اسم « المغما » . أما أشهر أكلة عند الفلاحين فهي « المرزوم » المؤلفة من خبز الدخن الذي يصب عليه الحليب والسمن والسكر .

حياة بريّة غنيّة الألوان

تنمو في منطقة جازان الواسعة ،أشجار الغابات الضخمة التي يستفيد الأهالي من أخشابها الصلبة في صناعة القوارب وبناء العشش ، كالبشام ، والقفل ، والرّشح ، والعجا ، والعرج ، والاثل ، والسمر ، والسدر ، والمض ، والعتيم . كما تنمو في السهول نباتات وأعشاب كثيرة يتخذ من بعضها عقاقير وأدوية منها الدّجر ، والضفج ، والأسب ، والرقم ، والسلع ، والحلص ، والغلف ، واللبنة التي تجفف أوراقها وتسحق وتذر على الحروق ، والعبب للجروح ، والجريّة للغازات ، ورجل الفرس للصداع ، والسنا الذي يستعمل كمسهل .

وتكثر الحيوانات البرية في الجبال والأودية ، ومنها النمور ، والقرود ، والذئاب ، والضباع ، والغزلان ، والظباء ، والوعول ، والأرانب . وكانت هذه المنطقة قديما مسرحا للأسود ، فقد ذكر « الهمداني » أن من مواضع الأسد عثّر ، وتعشر ، وليه ، وعتود . وقد ذكرها ابن مقبل ، فقال :

جلوسا بها الشم العجاف كأنهم — أسود بترح أو أسود بعتـــودا

ومن أهم الطيور التي تكثر في جازان الغراب ، والحدأة ، والعقاب ، والصقر . كما يكثر الحمام القمري في الجزر القريبة من جازان ، كجزيرة فرسان وجزيرة « زفاف » . ومن الطيور البحرية هناك العجام ، والحنقران ، والغرنوق ، وهي طيور جريئة تهاجم صيادي الأسماك لتلتهم ما يصطادونه .

وبعد ، تلك هي منطقة جازان ذات الطبيعة الخلابة تسير بخطى ثابتة على مدارج التقدم والازدهار نحو غد مشرق . ■

سليمان نصرالله

تصوير : عبد اللطيف يوسف



لن أعاتب

للشاعرة روحية القليني

أنا لن أعاتب يا صديقي سوف تحرم من عتابي
فعبير قلبي لن يكون لمن تمادى في عذابي
عتبي دليل الحب والشوق اللهيف وسر ما بي
لا لن أعاتب لن أعاتب قد رجعت الى صوابي

عتبي لمن يدري الذي أخفيته طي الجفون
ويقدر الحب الكبير وسر شوقي والحنين
ويدور حول خطاي يسأل أينما خطوي يكون
وبلمحة يدري الذي رسم الهوى فوق الجبين

أنا لا أصدق أن قلبك يا حبيبي قد جفاني
لكن سأحتضن الأسى وحدي وأنهل من زماني
ولسوف أمضي من حياتك لا تسلهم عن مكاني
فلربما ترتاح من عتبي ومن دفء الحنان

اني أخاف عليك ان ودعت من طول الندم
لن تلتقي أبدا بمثلي في الهوى ترعى الذمم
قد كنت لي في عالمي في وحدتي أحلى نغم
أنت الذي ضيعتني سهرت دموعي لم تنم

ضيعت منك الحب والنبع الذي يسقيك شهدا
ضيعت من أمضت لياليها على الأحلام سهدا
ضيعت من أهدابها كانت لليل هواك مهدا
فوضعت بين هواك والقلب الذي يهواك حدا

يا ظالمي أنا ما ظلمتك هل حسبت العتب ظلما
واذا خيالك لاح لي أهفو أضم الطيف ضما
فأنا أعيش على الخيال على الرؤى أهواك حلما
حتى الهناء حرمته ولو انني أحياه وهما



الشاعر جورج صيدح

حول القضايا الأدبية المعاصرة

أجراه الاستاذ ابوطالب زيان

على امتداد الصلة الأدبية ، وعلى بعد ما بيني وبين الشاعر الكبير الأستاذ جورج صيدح من مسافة ، تناولت معه هذا الحديث ، الذي أجاب فيه عن عدة تساؤلات ، تشغل ، ان لم تحتل ، أفكار كثير من المفكرين في الوطن العربي الكبير ...

قلت :

– هل يجوز للأديب العربي ، أن يتمثل الاستكفاء الذاتي في نفسه ، ويستغني عن أدب الغرب ؟

– لا يجوز ذلك لأي أديب ، الا أن يكون متعصبا للأدب العربي ، ما دمنا ننظر الى أدب الغرب على أنه مورد ضخم من مواردنا العربية التي تكمل ثقافة الأديب ..

وأقل نظرة الى أدبنا العربي ، تجعلك تبحث عن طاق تطل منه على المحيط العالمي ، على الرغم من شموله واحاطته ، وما يضم من قصور هندسية بديعة ، وقباب خلابة .

على أنه اذا جاز التعصب للأديب العربي في كل شيء ، فلا يجوز له أن يحجب عن نفسه تلك الروافد الفياضة . والدليل على ذلك ، ما يروى عن الخليفة عمر بن الخطاب ، حين نظر الى قوم من قريش ، صغرت أجسادهم ، وضمرت وجوههم ، فقال لهم :

مالكم صغرتم ؟

فقالوا : ان قرب أمهاتنا من أبائنا جنى علينا .

فقال عمر : صدقتم .. اغتربوا وتزوجوا من البعداء تكبروا وتنجبوا .

وليس من شك في أن التزواج بين الآداب ، والتطعيم بين الثقافات ، يثري الثقافة العربية ويعود على كلا الأدبين المتزاوجين بما يكمله ، ويعمر به ..

ومن التعنت المقيت الذي لا يفيد الأدب العربي في شيء أن يوثر الأديب الانطواء على نفسه وأن يكون بمعزل عن الآداب الغربية بغية الاستكفاء ، أو ايثار التعصب ، بينما هو في حاجة الى التطعيم والري بصفة دائمة من مختلف الآداب .

ولما كان الشاعر جورج صيدح يعنى كثيرا بشعر المناسبات ، ويشاطر أصدقاءه وهو في مهجره ما هم عليه من أتراح وأفراح ، أردت أن أستطلع رأيه في هذا الشعر ، وهل له أصل في الشعر الأوربي ، وبخاصة انه قد انزوى الآن بعد الهجوم الذي أحاطه من كل جانب ، حتى لم يعد يقوى على الظهور .

قلت له :

— ما رأيك في شعر المناسبات ؟

— لا أدعي جديدا ، اذا قلت : ان فضل المناسبات على الأدب العربي من الجاهلية حتى اليوم ، لا ينكره أحد . فمعظم القصائد التي وصلت الينا في هذه الحقبة الطويلة من الزمن كانت وليدة مناسبات . وما نعرف شاعرا واحدا من القدامى ، نظم في ساعة من ساعات الانفعال اللّدنيّ ، ولا شاعرا هزّه مشهد من المشاهد الطبيعية وعرض علينا خوالجه تلقائيا .

ويصح لي أن أقول : ان شعر المناسبة ، الجديد منه والقديم ، تأتي بخواطره المناسبة ، وانما تظهره ، اذ يكون الشاعر الحقّ قد اختزن في مخيلته الخواطر ، ويكون بحاجة الى عامل يهيء جلاءها ، فيجدهـا في مدح ، أو في تعزية ، أو تهنئة ، الى غير ذلك من المناسبات .

ومن هنا جاء التعدد في المواضيع التي يتناولها الشاعر ، عادة ، فيتطرق الى صور لا تمت الى مجرى المناسبة الا بصلة الوزن والقافية . وعلى هذا جاء التفكك الذي نراه في كثير من شعر المناسبات العصري . ولو كان الانصاف ديدنا ، لوجب أننشكر للمناسبات ما أتاحته لنا من بدائع فنية ، كانت لا تظهر الى الوجود لولاها .

وليس من النّصفة أن ننتقص شعر المناسبات ، ولا أن نوجه اليه التهم ، ولا أن نحمل عليه الحملة التي جعلته يركن الى حين . فلعل الأدباء يستبينون فضله ، ويحمدون له ما فتحه من آفاق ، اذ أمعنا النظر في القنطرة التي مشى عليها صبري وشوقي وحافظ للربط بين الشعرين القديم والحديث . فقصائد الشعراء الثلاثة ، أو قل دواوينهم ، تكاد تكون كلها قصائد مناسبات ، أو قصائد نظمت مداخلها في مناسبات ، ثم كانت فيها المقاطع الطريفة ، والأبيات الرائعة التي أتاحت لشعراء المهجر أن يوقظوا شاعريتهم ويؤدوا رسالتهم لجوالي المغتربين.

ونظرة عميقة الى الأدب الأوروبي ، نجد أن بعضه ، ان لم يكن جلّه ، يعمر بهذه المناسبات التي تعاب على الأدب العربي . ويكفي أن يكون كل من « لامرتين » و « شيلي » و « بيرون » علامة واضحة على هذه المناسبات ، كذا ما صيغ من القصائد الفنية الخالصة ، وما قيل في البحر والطبيعة ، وما وصفت به المدينة المتفتحة وما استوقف الشعراء والأدباء .

وما لنا نبعد كثيرا .. أليس وقوف الشاعر تجاه البحر ، وما يلفت نظره في هذا المدى البعيد المليء بالأسرار ، شعر مناسبة ؟

أليس ما يهزّك ، ويحرك مشاعرك أمام أي منظر من المناظر : طبيعية كانت أم اصطناعية ، شعر مناسبة ؟

وهنا بدا لي أن أوجه هذا السؤال الى الشاعر :

— ما هو أحب شعر المناسبة الى نفسك ؟

قال : ذلك الذي لا يركن فيه الشاعر الى تلك النغمات المنكورة ، أو الى ذلك الذي يعاب !

ولقد كان لي شخصيا تجربة رائدة ، ضربت بها المثل أمام الشعراء عندما أنشأ المواطنون في الأرجنتين فرعا لمصرف ، ودشنت الجالية هذا الفرع ، فأعلنت هذه الحقيقة بتلك المناسبة :

مشى بنا الدهر من حال الى حـال
يا دولة الشعر حييّ دولة المـال
تطور القـوم ، مالي لا أهنئهـم
وقـد أصابوا ثراء بعـد اقـلال
أشياع مـال تلاقوا عنـد كعبته
وكان عهدي بهم أشياع موّال
هـذي عكاظ دنانـير مفوهـة
بل المبـاراة في حملان أثقـال
تصرفت بحظـوظ النـاس هازئـة
بالعـاكفين عـلى تصريف أفعال
لا وزن للمرء لم يظفـر بوزنتهـا
هل يستضاء بنـور تحت مكيال ؟
وجدت نفسي غريبا عن منابرها
لا صوت يسمع الا صوتهـا العالي
تنكب الروح عنها فهي في نظري
مهما تأنـق بانـوهـا كأطلال
وعدت من حفلة التدشين أنشدهـا
واها على خيمة في المربع الخالي

على أن أهم الظواهر التي تلفت النظر في حياة الشعراء ، وبخاصة الذين يحبّون الأسفار منهم ، ويحتفلون بها ، تلك الظاهرة التي يبحث عنها الشاعر في حنايا الجمع ، ويشدّ اليها في وسط ذلك الزحام الذي يكون في وداعه في محطة من محطات السكك الحديدية .

ولقد عرف الشاعر جورج صيدح بأسفاره العديدة ، فسألته عن ذكرياته في أسفاره وعما وقع له في رحلاته ؟

— من مميزات الشاعر الحقيقي ، أن يمر بالمشهد الذي يمر به الناس ، وان كانوا لا يرون فيه الا صورا لا تستحق أن تشغل فسحة من فراغ خواطرهم ، فيرى فيه صورا فنية تتلاحق زاخرة بالخوالج فيعرضها من خلال الكلمات الموسيقية : عرسا للفكر والأذن .

وغالبا ما تستوقف الشاعر هذه المناظر المبدعة ، فيمنحهـا من روحه حركة لا عهد للناس بها ، وجمالا من ابداعه لم يكونوا ليلمحوا له أثرا ، سواء رآها بأم عينه ، أم بعين خياله فيلمّ بسائر دقائقها ، ويجلو كل خافية فيها جلاء كاملا شاملا ، فاذا نحن أمام دفقة من الحياة كاد يفوتنا الاطلاع عليها .

والواقع ان منظر هذا الوداع وان يكن في مظهره بسيطا ، الا انه لا يكون في نفس الشاعر الا محيطا برمته ، يمور بالأحاسيس المتباينة ، والصور الصادقة دون الالتجاء الى التزويق والمغالاة .

فالشاعر في « المحطة » ، وهو يوشك أن يركب القطار ، يكلم الناس الذين قدموا لوداعه ، لكن قلبه يحوم حول أحدهم . ويندفع بكليته حول شخص بذاته ، يقف صامتا ، لا يعبر الا بخلجات مبهوتة ، ونبضات قلّما تكون الا فيه هو .. والشاعر ينجذب الى هذا الذي يتطلع اليه بقلبه من دون الناس جميعا ، فيروح في ذهول ، ينتج عنه هذا الأدب الذي يصح أن يسمّى « أدب الوداع » .

فقلت للشاعر :

— هل وقعت لك تجربة من ذلك ؟

— هي تجارب ، ولكني أذكر واحدة ، وحبذا لو جمع الشعر الذي قيل في هذه الناحية في ديوان ، تسجيلا لهذه الخواطر التي طالما هزت النفس ، وأثرت أيّما تأثير . ولست أبالغ اذا قلت : انها فلتات تعدّ في قمة المناسبات التي تضاف الى الأدب .

كان من بين المودعين لي في أحد أسفاري ، فتاة راعتني بسكونها وسكوتها ، فرحت أتطلع اليها دون علمها ، ودون أن يلتفت اليّ بصرها ، فلم يسعني بعد أن تحرك القطار ، وراجعت نفسي الا أن أقول لها :

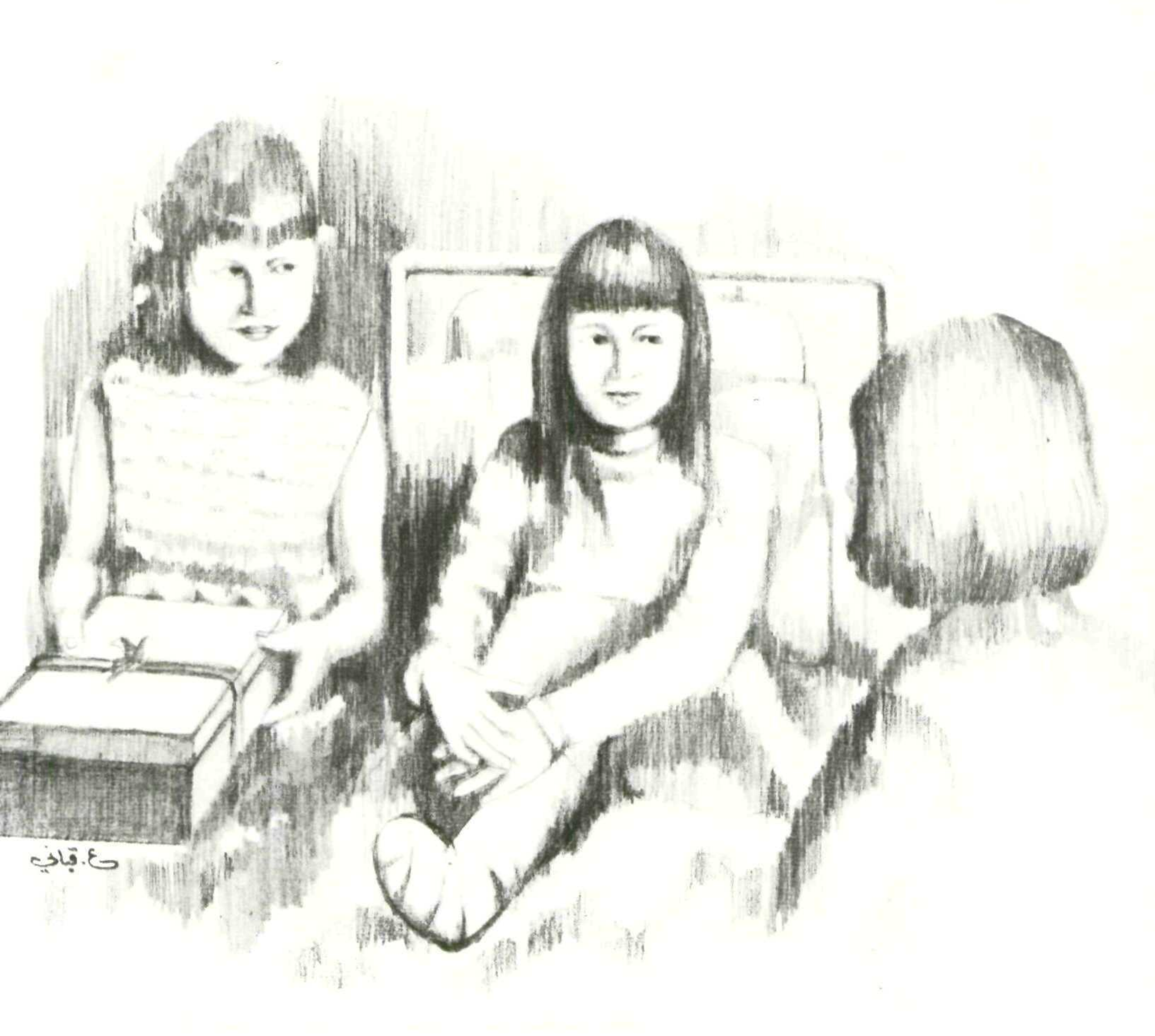
سكوتـك أحـدوثـة الشامتـين
فلا تحرجي موقفي ، ثرثري !
حضرت وداعـي وفكـرك سـاه
شريـد ، كأنك لم تحضري !

ثم قال الشاعر : « .. وكان هذا أيام زمان .. أما اليوم ، فأنا في عزلة ، أونسها بالتأملات وأشبع نهم روحي بالمطالعات ، وأرقّع شيخوختي بالمستشفيات . » ■

قصة

هدية للصديقة سعاد

بقلم الاستاذ فاضل السباعي



تقلبت « ريمة » في سريرها . ثم أرسلت ناظريها ، عبر النافذة الشرقية ، نحو الفضاء الدامس .. وزفرت :

— ما أطول هذه الليلة !

وحاولت ، دون جدوى ، أن تغمض جفنيها على عينين قد استعصى عليهما النوم .

— ألن تطلع ، اليوم ، شمس النهار ؟ !

ثم حانت منها التفاتة الى أختها « لمى » ، الهاجعة في سريرها ، تغطّ في نوم هانيء . فهتفت بينها وبين نفسها : « الحفلة » ، آه ، قد أقمناها ، وكان « الرّيع » مبلغا طيبا ! كيف أنت ، الآن ، يا « سعاد » ؟ ليتك كنت معنا مساء أمس ، ورأيت بأم عينك أي فن أبدعنا ! ولكنها استدركت في أسى : وكيف يمكنها أن تحضر ؟ هل في وسعها أن تسير على قدميها ؟ !

° ° °

وعادت الذاكرة بـ « ريمة » الى ما قبل الأيام الخمسة التي مضت . فتراءت لها رفيقتها سعاد ، وهي تسير واياها الهوينا في باحة المدرسة ... فاذا سعاد تتلقّى دفعة عشواء من بنات طائشات كنّ يتراكضن ، فتنطرح أرضا ، وتطلق صرخة حادة ، ثم .. تروح في اغماءة ! وتتجمع حولها بنات المدرسة ، هلعات ، صائحات ، مشفقات . وسرعان ما تستدعي المديرة الاسعاف بالهاتف ، ليزعق ، بعد قليل ، نعيب سيارة ينزل منها رجلان ، ومعهما « نقّالة » يحملان عليها سعاد ، ويمضيان بها الى المستشفى ! ومن هناك جاء النبأ الأليم : « سعاد الطيبة ، قد كسرت ساقها ! » .

واستشعرت ريمة ، منذ ذلك اليوم ، حزنا لا مزيد عليه . فقد دخل في روعها أنه كان يسعها — لو أنها كانت أكثر حذرا وأسرع بديهة — أن تقي رفيقتها شرّ السقطة ، وهي التي بصرت بالطائشات وهن يندفعن اندفاعهن الجنوني نحوها ! ومما زاد في حزنها أن سعاد من أسرة رقيقة الحال ، فأبوها بائع متجول ، وهم يسكنون قبوا لا تدخله الشمس ولا يتخلله الهواء . ولكنها أحست فرحا حينما عرفت ، في اليوم التالي ، أن ادارة المدرسة قررت أن تدفع من « صندوق التعاون » نفقات العلاج كلّها . بل ان معلمتين من معلمات الصف ، قد تعهدتا بالذهاب الى بيت سعاد لتلقينها دروس الحساب والقواعد ، الى يوم تستطيع السير على ساقيها !

وليست تدري ريمة ، في غمرة الأريحية التي عصفت بادارة المدرسة ، كيف تفتّق ذهنها ، هي الأخرى ، عن « فكرة » فيها خير لرفيقتها التي تشاطرها الجلوس في مقعد واحد . وما أسرع ما سكبتها في أذن أختها الصغيرة « لمى » ... فاذا لمى تستطير فرحا ، واذا هما تسعيان ، حالا ، الى حيث المديرة !

وعلى باب الادارة سألتهما « المحافظة » عما تبغيان ، حتى تستأذن لهما بالدخول . فاوشكت لمى أن تفصح ، لولا أن نحّتها ريمة جانبا لتقول :

— نريد أن نعرض على السيدة المديرة « اقتراحا » بشأن رفيقتنا سعاد !

ثم ان ريمة عرضت على المديرة اقتراحها : أن تقام ، في صالة المدرسة ، حفلة صغيرة ، تقدّم فيها كل تلميذة ذات فن شيئا من فنّها يسر البنات ، ويكون حضور الحفلة لقاء « رسم » تدفعه كل منهن .. ثم يشترى بالحصيلة شيء نافع تقدمه التلميذات الى سعاد ، القعيدة في بيتها ، تنسيها بعض مصابها !

التمعت عينا المديرة — كذلك لاحظت ريمة — قبل أن تتوجه بالسؤال الى أختها :

— وماذا يمكنك أن تقدمي من فنك ، أيتها الصغيرة لمى ؟

أجابت لمى :

— أغني أغنية « ماما يا حلوة » !

— وأنت ، يا ريمة ؟

أعلنت ريمة مزهوّة :

— أعزف على الكمان عزفا بتّ أحسنه بعد طويل التمرين ، يا آنسة !

وهنا قالت المديرة ، وقد أشرق وجهها بابتسامة :

— انكما لتؤكدان للادارة دائما أنكما تلميذتان محبتان للفن . بورك فيكما . (ولكنها أضافت ، وقد اتخذت هيئة أخرى) اسمعي يا ريمة ، وأنت يا لمى : لقد خرجنا ، بالأمس ، من الامتحان الأول . ومثل هذه الحفلة تحتاج الى تحضير وتدريب ... ومعلماتكن مشغولات ، هذه الأيام ، بتصحيح أوراق الامتحان واعداد النتائج ! وأضافت : على كل حال ، لقد قامت ادارة المدرسة بأداء واجبها نحو زميلتكما سعاد ، كما تعلمان ، أيتها العزيزتان ! !

خرجت ريمة من غرفة الادارة ، وقد استبد بها حزن . وما كان ليخفّف من عظيم حزنها أن المديرة ودّعتها ، هي وأختها ، بصوت بلغ سمع المحافظة على الباب :

— أشكر لكما مشاعركما النبيلة ، سلّما على أمكما !

فان ألف شكر عندها لا يعدل أداءها فنّها أمام « الجمهور » لحظة واحدة ، ولا احساسها بصنيع الخير تجاه صديقتها الحميمة سعاد !

وقد جاءت أمها ، مساء ، تبكي ، وقصت عليها ما كان من اقتراحها ، ومن اعتذار المديرة ! فأبدت أمها اعجابها بالفكرة ، بقدر ما أسفت للاعتذار .. ولكنها طيّبت خاطرها بأن معونات قد قدّمت الى رفيقتها ، فلم هذا الحزن كله ، وعلام البكاء ؟ وما فات أمها أن تحدث أباها ، والأسرة مجتمعة على مائدة العشاء، بالاقتراح ، وبالاعتذار ، وبالبكاء جميعا .

ومن عجب أن رأت ريمة أخاها الأكبر « خالد » يستفصحها :

— هل لي أن أسألك سؤال المديرة ، يا ريمة : ماذا في وسعك أن تقدّمي على المسرح ؟ قالت ريمة :

— وأجيبك جواب المديرة : أعزف على كماني ! فقهقه خالد بفظاظة :

— أجل ، تلك الآلة التي ثقبت آذاننا باللعب عليها في تمارينك الاسبوعية !

فعاتبته أختها « سوسن » :

— أراك تسخر ، يا خالد ؟

وأبوها معتصم بالصمت ، وكأنه غارق في تفكير

— بل أنا أتحقق من مقدار ما تملكه أختانا من الفن ! وأنت ، يا لمى ؟

— أنا أغني أغنية ، واثنين ، وثلاثا ... أتريد أن أسمعك ؟

— لا ، بالتأكيد . ليس على الطعام ! وماذا عندكما غير هذا ؟

وقد اندفعت ريمة ، ههنا ، تقول بحماسة ، بينما كان أخوها « سعد » الصغير ينقّل ناظريه بين الوجوه :

— ان أردت الجدّ .. لو أن المديرة تعهد الينا ، أنا ولمى ، بملء برنامج الحفلة كله ، لما صعب علينا !

فهتف خالد :

— الله ، الله ! لأنكما فنانتان قديرتان !

وأحست ريمة أنها تهان . وهمّت بأن ترد على أخيها الكبير بما ... لولا أن زجره أبوها ، الذي خرج أخيرا عن صمته :

— كفّ عن هذا ، يا خالد !

— ولكنها تدعي ادعاء عريضا ، يا أبت !

وتوجه اليها أبوها بالسؤال :

— أأنت واثقة ، يا ريمة ، من أنك لا تغالين في تقدير مواهبك ؟

— أجل ، يا أبي . وان المسألة أبسط مما يتصور أخي خالد . أستطيع ، أنا ولمى وعدد من زميلاتي أختارهن ، أن نمثّل أكثر من تمثيلية صغيرة مما نشاهد في التلفزيون .

— والتحضير لهذا « المشروع » ، ألا يشغلكن عن دروسكن ؟

— ساعة في اليوم ، أو ساعتان ، على مدى ثلاثة أيام أو أربعة .

— طيب .. (وأمعن تفكيرا) ما رأيكما ، أيتها الفنانتان البارعتان ، في اقامة حفلتكما .. هنا ، في البيت ؟ وتدعوان الرفيقات لحضورها ؟ (واستدرك) طبعا ، بعد الاستئذان من ربة البيت ، أمكما .

لم تصدّق ريمة هذا الذي تسمعه أذناها . فالتفتت الى أختها لمى ، فوجدتها مبهوتة هي الأخرى ، فلكزتها بمرفقها :

— قولي شيئا ، يا لمى ! لماذا أنت صامتة ؟

— وماذا أقول ؟

— قولي اننا موافقتان !

هتفت لمى من فرط الفرح :

— يعيش بابا !

وهمت ريمة بأن تردد الهتاف : « يعيش ، يعيش ! » ، لولا أن أمها انبرت تسأل مقطّبة الجبين :

— ماذا ، يا أبا خالد ؟ حفلة تقام في بيتي ؟

— نعم .

— وعلى أي « مسرح » من « مسارح » البيت ترى أن نقيمها ؟

— على « مسرح » نعدّه في « قاعة الاستقبال » ، يا عزيزتي ! وانها لمكان فسيح .

— والأثاث الذي فيه ؟

— نزيح بعضه جانبا ، ولا خوف على بعضه الآخر .

— أوتحسب أنه ينقصني مزيد من التعب والشقاء ، حتى تقترح اقامة « حفلة عامة » في بيتي ؟ !

— ولكن البنتين ، كما ترين أيتها العزيزة ، راغبتان في أداء فنهما وفي صنع الخير . والمديرة اعتذرت . فلنتح ، نحن ، لهما الفرصة . أي ضير ؟ ان التربية الحديثة تحتم على الأهل أن يتبنّوا « مشروعات » أولادهم ، ما دام رائدها النفع الخاص والعام .. وأن

يشجعوهم عليها ، ويحضّوهم حضا . وانك لربّة بيت تقدّرين ..

ورأت ريمة أمها وهي تهز رأسها ، أمام منطق أبيها الراجح :

— حسن ، لا بأس .. اذا وعدتني البنتان بالمحافظة على النظافة والهدوء والنظام !

هتفت ريمة ولمى بصوت واحد :

— نعدك ، يا أماه .

وعلا ، فجأة ، صوت سعد الصغير :

— ريمة ! أريد أن أشترك معكما في التمثيل ! !

وأعلنت سوسن :

— أنا أعدّ لكما حوارا سهلا عن قصة « سندريلا » !

وهتفت لمى من جديد :

— تعيش ماما الحبيبة !

فرددت ريمة :

— تعيش ، تعيش ! (وأضافت) أنت أحسن « ماما » في الدنيا !

وكان لا بد لريمة من أن تشيع ، في اليوم التالي ، الخبر في المدرسة : حفلة تقيمها في بيتها ، تحضرها من ترغب من التلميذات لقاء « رسم » معلوم ، ليشترى بالريع هدية تقدّم الى العزيزة سعاد ! فتهافتت عليها البنات ، ما بين متسائلة ، ومهنئة ، وراغبة في الحضور ، وحريصة على الاشتراك في تقديم فنّها الجميل !

وأما أخوها خالد ، الذي أبدى سخره في اليوم السابق ، فقد عرض الآن خدماته بأن يقوم بدور « المخرج » ! فيما عكفت سوسن على اعداد نص مبسط لقصة « سندريلا » ! ولكن سعدا الصغير أبى ، باصرار عنيد ، أن يكون في عداد المتفرجات ! فما كان من ريمة الا أن اقترحت عليه :

— أنت تقدّم أنشودة « وطني » !

وقد نشطت الأسرة ، في يوم الحفلة ، نشاطا لا عهد للبيت به : فأخليت قاعة الاستقبال من بعض أثاثها .. وأقيم « مسرح » من منصّات ضمّ بعضها الى بعض ! ورفـــع في مقدمته ستار عريض ! وصفت الكراسي ، ما هو في البيت منها وما استعير من بيوت الجيران ؟ وتوافدت بعض البنات مبكرات ، ليقمن بآخر التجارب التمثيلية . وكان سعد الصغير يساعد في الترتيب قليلا ، ويعبث بنظام الحفلة كثيرا . وما كفّ عن عبثه الا حين هددته ريمة بالغاء دوره ان لم يركن صنيع الأطفال العاقلين !

وتوارد جمهور المشاهدات في الموعد المحدد . وكان أمرا شيقا لريمة ، وممتعا لها غاية الامتاع ، أن ترى الى المتفرجات ، وهنّ يجلن بأبصارهن في الأرجاء ، فيرين الستار ، وهو ملاءات قد خيط بعضها الى بعض ، ثم شدّها من أعلاها حبل رفيع . وعلى أحد الجدران ، هناك ، علّقت لافتة كانت أمها قد أشارت على لمى أن تخط عليها : « حافظي على الأثاث يا أختاه » ! وما كان ليفوت لمى أن تصنع أخرى تقول فيها : « ممنوع أكل الفصفص » !

افتتحت ريمة الحفلة باسم الله الرحم الرحيم . ثم أفاضت بالحديث عن دواعي اقامة هـــذه الحفلة « المتواضعة » ، مؤكدة محبتها لصديقتها العزيزة سعاد ، مشيدة بأخلاقها الرضيّة ، ومذكرة بما استشعرته الرفيقات من حزن لما أصابها في باحة المدرسة في ذلك اليوم المشئوم !

ثم أدت بعض البنات الأناشيد على المسرح . وعزفت ريمة على كمانها لحنا مما تلقّنت ، فأبدعت في العزف ، وصفق لها الجمهور طويلا ! وكذلك صفقن للمى اذ غنّت بصوتها الحنون : « ماما يا حلوة » !

حتى اذا حان دور سعد الصغير ليؤدي أنشودته الوطنية ، أشفق على نفسه من « مواجهة الجمهور » .. فاذا هو يولّي هاربا ، تاركا القاعة لروادها ، ليتوارى في ركن عميق من أركان البيت ! وحاول أبوه ، عبثا ، بثّ الطمأنينة في نفسه لعله يغريه « باعتلاء خشبة المسرح » فالمتفرجات ينتظرن ، مما اضطره آخر الأمر الى أن يستعين بخالد ، الذي حمله بين ساعديه وحطّه على المسرح ، بين تصفيق المتفرجات وتشجيعهن .. واذا الخجل يزايله ، فيروح ينشد بجرأة وحماسة ! بل انه ، بعد أن استعذب ما حظي به من التصفيق والاعجاب ، راح يتعلق بأذيال أخيه ، مطالبا اياه بالحاح ، أن يعيده الى المسرح لينشد مرة أخرى !

وقدّمت ريمة ولمى وصويحباتهما ، تمثيلية « سندريلا » . وكان خالد قد اتخذ له موقفا خلف « الكواليس » ، يلقّن منه « الممثلات » أدوارهن ، ويوجههن بصوت خفيض !

وقد انفردت لمى بالمسرح ، مرات ، لتحكي حكايات : « عقلة الأصبع » و « القدّاحة العجيبة » و « تمر حنّة وعصفور الجنّة » ..

° ° °

تقلّبت ريمة في سريرها ، وهي ما تزال ترنّق في سماء ذكرياتها القريبة : كل شيء قد سار ، في الحفلة ليلة أمس ، على ما يرام : ما كدّر عليها هناءتها الا أن الحبل ، الذي شدّ به الستار ، قد انقطع قبيل نهاية الحفلة ، فأثار هرجا بين البنات ! لشد ما جعله خالد رفيعا واهيا ! !

— ولكن .. ما بال شمس النهار لا تشرق !

لقد كان ريع الحفلة مبلغا طيّبا ! حتى أنها وجدت نفسها تصيح ، في انصراف البنات ، طربا :

— ماما ! ان الريع أكبر مما توقعنا . أنظري ، يا ماما !

وأضافت لمى :

— لقد امتلأت القاعة بـ « المتفرجات » ، حتى أتينا بكراسي الحمّام الصغيرة .

ولكن أمها ما أبدت فرحة ، بل هزّت رأسها في أسف ظاهر :

— أجل ، أيتها الفنانتان البارعتان ! لقد قلبتما لي البيت رأسا على عقب ! كم يتعيّن عليّ أن أشقى ، طوال غد ، قبل أن أعيد كل شيء الى موضعه !

على حين سأل أبوها ، وقد كان يصغي :

— ماذا تنوين أن تشتري بالمبلغ لصديقتنا سعاد ، يا أم خالد ؟

أجابت ، وقد تطلّقت أساريرها بعض الشيء :

— لا أرى خيرا من معطف صوف يقي البنت برد الشتاء ، متى سارت في القريب على قدميها . وهتفت ريمة ، وهي ترسل ، من جديد ، ناظريها نحو الفضاء :

— هوذا الفجر قد أسفر !

وفكرت : لقد كانت ليلة ، رغم السّهاد ، من أعذب الليالي ! حلمت ، في السويعات القليلة التي أغفت ، أنها تعزف على مسرح حقيقي ، في صالة تضم جمهورا من المتفرجات غفيراً .. تعزف على كمانها ألحانا صعبة الأداء ، انتزعت بها الاعجاب ، واستحقت الثناء والتقدير ، فقررت المدرسة أن .. توفدها لدراسة فن الموسيقى في ديار الغرب !!

بل انها حلمت أنها نزلت مع أمها الى السوق ، واشترت معطفا صوفيا رائعا .. وحملته الى المدرسة ، وعرضته على المديرة التي سألتها : « ما هذا ، يا ريمة ؟ » : أجابتها مزهوة : « انه لصديقتي سعاد . اشتريته من ريع الحفلة التي أقمناها في بيتنا ، يا آنسة ! » ، وودت لو تكمل : « الحفلة التي رفضت اقامتها في المدرسة ! » .. فازداد اعجاب المديرة بحماستها ، وفنّها ، وحبّها للآخرين . ثم انها أخذت منها المعطف الجميل ، لتطوف به على التلميذات في قاعاتهن : « انظرن ، يا بناتي ! هذه ثمرة جهود ريمة ، وأختها لمى ، ومؤازرتكن . انه هدية لزميلتكن العزيزة سعاد ! » . والبنات ، في ذلك ، يتمتمن مفتونات : « يا سلام ! أختان فنانتان منذ الصغر ! » ..

وهتفت ريمة ، أخيرا :

— هي ذي الشمس .. قد طلعت !

• • •

حملت ريمة صندوقا من المقوى ، قد لف بقرطاس زاهي الألوان ، وعقد بشريط حريري أحمر . وتوجهت بـه الى بيت صديقتها سعاد ، ترافقها لمى واحدى رفيقات المدرسة .

رأت سعاداً مضجعة في فراشها ، تحوط بساقها الأربطة البيضاء ، ويخالط وجهها شحوب أصفر .

قدمت اليها الصندوق . فتساءلت سعاد في استعجاب :

— ما هذا ، يا ريمة ؟ !

— لقد أقمنا ، في بيتنا ، حفلة تمثيلية ، يا صديقتي .. حضرتها رفيقات المدرسة .

وتابعت لمى :

— وجعلنا الدخول اليها لقاء رسم . فتجمع لدينا ما اشترينا به هذه الهدية لك .

فضّت سعاد الصندوق الكبير ، في لهفة وشوق . واذ وقعت عيناها على المعطف الجميل ، راحت تشكر صديقتها ريمة وأختها لمى ورفيقاتها . ثم ما لبث أن ندّ عنها صوت راعش :

— كنت أتمنى .. لو أتيح لي أن أشهد الحفلة مع رفيقاتي ، فاني أكون أكثر سعادة !

وسرعان ما أعلنت ريمة :

— اننا على استعداد لأن نعيد الحفلة ، متى تم شفاؤك .

— شكرا ، شكرا ، يا صديقتي .

وأضافت لمى :

— ونزيد عليها مشاهد جديدة ، وأغاني ، وحكايات !

وضمّت سعاد المعطف الجديد الى صدرها ، وقد اخضلّت عيناها بدموع الفرح ، وقالت :

— لقد أنسيتماني مصابي ، أيتها الصديقتان النبيلتان .

• • •

وفي طريق العودة الى البيت ، أكّدت لمى :

— في الحفلة القادمة ، التي ستحضرها سعاد ، سنشدّ الستار بحبل متين ، لا يكون رفيعا ولا واهيا ! فلكزتها ريمة بمرفقها :

— فكّري أولا ، يا أختاه : من منّا التي تجرؤ على مفاتحة ماما باقامة حفلة ثانية في البيت ؟ !!

فما كان من لمى الا أن غمغمت ، وعيناها الى الأرض :

— آ ... حقا ، حقا ! ■

اخبار الكتب

• « غزو الفضاء » عنوان دراسة واسعة للعلامة الدكتور فؤاد صروف تناول فيها جميع المراحل التي مهدت لنزول الانسان على القمر ووضح صورة الكون والفضاء ، وبحث امكان نزول الانسان على كواكب أخرى .

• حقق الدكتور ابراهيم الكيلاني « رسائل أبي حيان التوحيدي » وجملتها تسع رسائل بعضها في الأدب والعلوم والاجتماع ، وبعضها موجه الى الوزراء والأعيان والقضاة في عهده .

• ومن كتب التراث التي حققت أخيرا « ديوان صقر الشبيب » وقد حققه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، و « مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه » ليعقوب بن شيبه وقد حققه الدكتور سامي حداد في طبعة ثانية مراجعة ، و « معجم متخير الألفاظ » لأحمد بن فارس وقد حققه الأستاذ هلال ناجي ، و « تثبيت دلائل النبوّة » للقاضي عبد الجبار الهمذاني وقد حققه في جزئين الدكتور عبد الكريم عثمان .

• يواصل الأستاذ عبد القادر عياش اصدار أجزاء جديدة من « الموسوعة الفراتية البكر » التي تتناول جوانب من تاريخ وادي الفرات ومأثوراته الشعبية وأحواله الاقتصادية والاجتماعية . وقد أصدر حتى الآن ١١١ حلقة في هذه الموسوعة آخرها عن « الخيول العربية » و « الابل » و « الغزال » في وادي الفرات .

• العلامة الدكتور فيليب حتّي يصدر له قريبا في الولايات المتحدة كتاب عن « الحواضر العربية في تاريخ العالم الاسلامي » يتناول فيه مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة .

• « فكر الفيلسوف أفلوطين » عنوان كتاب جديد باللغة الافرنسية وضعه الدكتور نجيب بلدي .

• ومن كتب التراجم والسير التي صدرت حديثا « تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي » للأستاذ أنور الجندي ، و « شخصيات اسلامية معاصرة » للأستاذ ابراهيم البعثي ، و « الغزالي » للمستشرق كاره دى فو ، وقد ترجمه العلامة الراحل الأستاذ عادل زعيتر وقدّم له الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، و « ابن حزم الأندلسي : حياته وأدبه » للدكتور عبد الكريم خليفة ، و « قادة فتح بلاد فارس » و « قادة فتح بلاد الشام » والجزء الأول من « قادة فتح المغرب العربي » والكتب الثلاثة من تأليف الأستاذ محمود شيت خطاب .

• من الكتب الاسلامية التي صدرت أخيرا الجزء الأول من « الرازقيّات » وهو في المدائح النبوية وقد ألفه الأستاذ أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق ، و « مقومات الانسانية في القرآن » وهو في جزئين للدكتور أحمد مهنّا وقدّم له الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ، و « دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه » للأستاذ محمد مصطفى الأعظمي ، و « غزوة بدر الكبرى » و « غزوة أحد » و « غزوة الأحزاب » و « غزوة بني قريظة » وكلها من تأليف الأستاذ محمد أحمد باشميل .

• في التاريخ الاسلامي ظهر كتابان هما « تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الاسلام » للمستشرق رينولد نكلسن وقد ترجمه الدكتور صفاء خلوصي ، و « نظرات في دراسة التاريخ الاسلامي » للدكتور عبد الرحمن الحجي. كما صدر كتاب « من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية » للدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا .

• من الدواوين الشعرية التي صدرت مؤخرا هذه الطائفة : « أجنحة بلا ريش » للشاعر الكبير الأستاذ حسين سرحان ، والجزء الثاني من ديوان « نسمات الجبل » للشاعر المهجري فيليب لطف الله ، و « مسافر بلا تاريخ » للشاعر محمد أحمد العزب ، و « وجه على رصيف روماني » للأستاذ محمود الظاهر . كما صدر ديوان « قضايا ومجامر » للسيدة ثريا ملحس وهو مجموعة من الشعر الفلسفي التأملي .

وفي الوقت عينه أصدر الشاعر الأستاذ أحمد عبد المجيد كتابا عنوانه « لكل أغنية قصة » سرد فيه تاريخ وملابسات بعض الأغنيات في القديم والحديث .

• أصدرت جماعة مشروع تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية تقريرها السنوي الثالث عن أعمالها من غرة محرم ١٣٨٠ حتى نهاية ذي الحجة ١٣٩٠ .

• صدر مؤخرا للأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس كتاب بعنوان « المجاز بين اليمامة والحجاز » .

• صدر مؤخراً كتاب « الادب في خدمة الحياة والعقيدة » وهو بحث يقع في ٢٥٢ صفحة من الحجم الكبير قدمه الطالب في كلية اللغة العربية بالرياض ، عبدالله بن حمد العويشق باشراف الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا ، فنال درجة الامتياز ، وقد قامت الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالرياض بطبعه على نفقتها ■

كتب مُهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بالمؤلفات التالية :

• « الكواكب الدرية في السيرة النورية » تأليف بدر الدين ابن قاضي شهبة ، وتحقيق الدكتور محمد زايد .

• « القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى » للأستاذ محمود تيمور .

• « رسائل في النحو واللغة » ويشتمل على ثلاث رسائل هي : « في تمام فصيح الكلام » لابن فارس أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي . « الحدود في النحو » لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرمّاني . « منازل الحروف » للرمّاني أيضا. حققها وشرحها وعلق عليها الدكتور مصطفى جواد ، ويوسف يعقوب المسكوني . وهو من سلسلة كتب التراث الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

• « الشريف الرضي » للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وهو ضمن سلسلة نوابغ الفكر العربي الصادرة عن دار المعارف بمصر ■

وسائل زراعية حديثة تساعد على نمو النبات

تسهل القنوات المغطاة بالدائن جريان الماء في المزارع وتقلل من ترسب الأملاح في التربة ومن نمو النباتات غير المرغوب فيها في القناة ، كما تحافظ على مستوى الماء في التربة . تصوير : علي محمد خليفة



ما انفك خبراء الزراعة وعلماء النبات يوالون جهودهم المتضافرة وأبحاثهم التجريبية ودراساتهم الواسعة سعياً وراء توفير الغذاء الكافي لسكان هذا العالم الشاسع الآخذ تعدادهم بالتزايد والتنامي عاماً إثر عام . وفي سبيل ذلك ، سبروا أغوار البحار والأنهار وارتادوا أعماقها بحثاً عن مصادر غذائية يمكن استغلالها والانتفاع بها ، وقد نجحوا الى حد ما في استخلاص مواد غذائية من بعض النباتات والطحالب البحرية . ومن ناحية أخرى فقد توصلوا الى ابتكار وسائل حديثة يمكن بها تحسين مستوى الانتاج الزراعي واستصلاح المزيد من الأراضي وإحالتها الى بقاع خصبة تدر من الغلال والمحاصيل ما يسد حاجة سكان هذا العالم المتزايد من الغذاء .

وكان من حصيلة هذه التجارب العلمية أن استحدث خبراء الزراعة مؤخرا مستحلبا من الشمع البرافيني يطلى به النبات ، فيحفظ رطوبته ، ويجعل نموه سريعا ومتسقا ، ويسهل على المزارعين عملية نقل الغراس من المشاتل الى الحقول دون الاضرار بتركيبها العضوي وبقدرتها على النمو الكامل السريع .. ويعرف هذا المستحلب علميا باسم «فوليكوت — Folicote » . كما توصلوا الى ابتكار وسائل أخرى أثبتت جدواها وفعاليتها في تحسين الزراعة وزيادة الانتاج ، من بينها قماش خاص أطلقوا عليه اسم « القماش الجبني — Cheese Cloth » يفرش فوق المزروعات ويكون بمثابة غطاء يقيها هبوب الرياح وشدة الحرارة اللتين تؤثران في نسبة نموها وانتاجها .

ومن المعروف أن مزروعات الخضار تفقد قدرا كبيرا من الرطوبة اللازمة لبقائها ونموها ، وخاصة أثناء عملية نقلها من المشاتل الى الحقول المخصصة لغرسها ، فنقصان نسبة الرطوبة في النباتات يتسبب في تلف جزء كبير منها لأن الرطوبة تتبخر من خلال الثقوب الدقيقة في الأوراق ، ولأن الجذور في هذه الحال تكون رقيقة لا تقوى على امتصاص كميات كافية من الماء الموجود في التربة عند ازدراعها للتعويض عما تفقده من الرطوبة مما يترتب عليه تباطؤ في النمو ، الأمر الذي يضطر المزارعين الى استبدال الكثير من الغراس بأخرى .

ويستخدم هذا القماش الجبني المصنوع من اللدائن كأغطية تفرش فوق الغراس على ارتفاع ثلاثة أقدام ، ثم يجري ثقبها حيث يسمح بدخول الهواء اليها ، وميزة هذه الأغطية انها تساعد على حماية الغراس من العوامل الجوية القاسية التي تتعرض لها ، خاصة أثناء المرحلة الأولى من نموها . وتظل هذه الأغطية مفروشة حتى يصل ارتفاع الغراس الى ما بين ثماني وعشر بوصات ، تنقل بعدها الى الحقول ذات التربة الخصبة المجهزة بوسائل الري الحديثة .

ومن ناحية أخرى فقد استخدمت هذه الأغطية اللدنة في تغليف قنوات ماء الري كخطوة عملية تسهل جريان الماء في المزارع وتقلل من الأملاح في التربة الناجمة عن تسرب كميات كبيرة من المياه اليها وتحول دون تكاثر النباتات غير المرغوب فيها في القنوات ، بالاضافة الى محافظتها على مستوى الماء في التربة .

وعلى غرار طريقة استخدام الأقمشة الجبنية ، الآنفة الذكر ، أجريت مؤخرا أول تجربة من هذا النوع في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بالتعاون بين قسم المساعدة الزراعية في شركة الزيت العربية الأمريكية « أرامكو » وأحد المنتجين الرئيسيين للخضار في المنطقة الشرقية . وكان القصد من هذه التجربة تحقيق هدفين اثنين . أولهما ، معرفة الفائدة المادية التي يمكن أن يجنيها المزارع من استعمال هذه الأغطية المصنوعة من « البوليتيلين » . وثانيهما ، امكان زراعة البطاطا بشكل تجاري في المنطقة الشرقية . وقد بلغ عرض هذه الأغطية التي استخدمت في المنطقة الشرقية خمسة أقدام أقيمت على ارتفاع ثلاثة أقدام من سطح الأرض ، لتترك للغراس مجالا للنمو . وقد جاءت هذه الطريقة لتحل محل البيوت الزجاجية التي تؤمن للخضار جوا دافئا يقيها البرد والصقيع ويحفظ لها رطوبتها .

وقد كانت النتائج الأولية التي أسفرت عنها هذه التجربة الحديثة مشجعة بحيث أصبح في الامكان زراعة الخضراوات في غير موسمها وحماية أنواع الخضراوات الأخرى التي لديها القدرة على تحمل درجات من



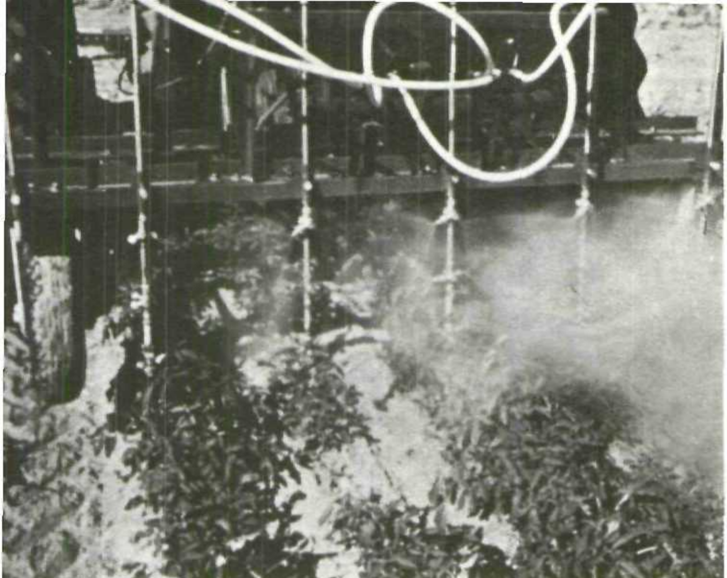


١ — البطاطا كانت من بين النباتات التي أجريت عليها تجربة أغطية البلاستيك في احدى مزارع المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ، وكانت الدلائل الأولية مرضية ومشجعة . تصوير : علي محمد خليفة

٢ — تغمس غراس النبات قبل اعادة زرعها في محلول الفوليكوت المستخرج من الشمع البرافيني بقصد المحافظة على رطوبتها والمساعدة على نموها بانتظام ، ويكفي كيلوغرام واحد من هذا المحلول لمعالجة ٦ آلاف غرسة .
تصوير : « أور صن »



تطمر القناة بالتراب الى علو مقداره ست بوصات ، وذلك بعد تغطيتها باللدائن لتثبيتها في مكانها ووقايتها من حرارة الشمس .
تصوير : علي محمد خليفة



معدات الرش بالمسدس أو المضخات هي من الوسائل المستخدمة لرش شجيرات الطماطم والفلفل الأخضر والكرنب والنباتات الدائمة الخضرة بالفوليكوت بعد ازدراعها .
تصوير : « أور صن »

الحرارة الخفيفة ، كما حدث تماما بمحصول الطماطم الذي يعد من المحاصيل الزراعية الرئيسية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

الفوليكوت FOLICOTE

هو عبارة عن مستحلب يستخلص من شمع البرافين ، وذو لمعان قريب من لون الحليب ، وقد جاء هذا المستحلب معوانا للمزارعين الذين تسنى لهم بواسطته التغلب على متاعب عديدة كانوا يواجهونها في مواسم الزراعة المختلفة .

ومعالجة المزروعات بمحلول « الفوليكوت »عملية سهلة للغاية تتم بغمس أوراق النباتات المراد غرسها في المحلول حتى يحين موعد غرسها ، وبذلك تكون الأوراق قد احتفظت بنسبة كافية من الرطوبة التي تشكل عاملا أساسيا في أطوار نموها ومستوى انتاجها . وجدير بالذكر ان جذور النباتات لا تتأثر مطلقا اذا ما غمست سهوا في المحلول . ويكفي مقدار كيلوغرام واحد من محلول « الفوليكوت » لمعالجة نحو ٦ آلاف غرسة .

ان عملية نقل الغراس من المشاتل الى الحقول في أحوال جوية قاسية تحدث عادة نقصا في كمية الرطوبة الكامنة في جذورها ، لكن هذا النقص سرعان ما تستعيده الجذور لدى استئنافها امتصاص الماء من التربة الجديدة ومواصلتها عملية النمو الطبيعي .

ويمكن استخدام « الفوليكوت » كما يقول خبراء الزراعة ، في محصولي الطماطم والفلفل الأخضر اللذين يجري عادة ازدراعهما ونقلهما من مكان الى آخر أكثر من محاصيل الزراعة الأخرى ، وذلك لكونهما يتحملان أي نقص قد يطرأ على نسبة الرطوبة في جذورهما أثناء عملية الازدراع .

ويصف أحد خبراء الزراعة الأمريكيين مهمة محلول « الفوليكوت » بانها مجرد عملية تساعد على تنشيط النبات ونموه بشكل أسرع وأكثر تناسقا . ففي احدى التجارب التي استخدم فيها محلول « الفوليكوت » على فدان من الطماطم تبين أن عشرين في المائة من الغراس النشطة قد أعطت منتوجا يفوق ما أعطاه فدان آخر من الطماطم غمست أوراقه في الماء فقط . وهذا ما يؤكد فعالية « الفوليكوت » في رفع مستوى الانتاج .

لقد أدخلت على محلول « الفوليكوت » منذ اكتشافه عام ١٩٦٥ تحسينات عديدة ، وخاصة بعد أن أثبتت التجارب فعاليته في تنشيط الغرسات الحديثة الزرع ، وفي قدرته على حماية أشجار الفاكهة والخضار الطازجة من التلوث . وقد قام عدد من خبراء الزراعة في الولايات المتحدة باجراء تجارب واسعة على هذا المحلول في مناطق مختلفة من التربة وفي أجواء متفاوتة الحرارة ، أسفرت جميعها عن نتائج مرضية ومشجعة . وقد كشفت التجارب عن امكان الاستفادة من محلول « الفوليكوت » في حماية أنواع أخرى من الخضار ، مثل القرنبيط والملفوف ، والنباتات الدائمة الخضرة وعصارة الفاكهة من الجفاف الذي يصيبها عادة في فصلي الصيف والشتاء . كما تجري الآن تجارب أخرى على هذا المحلول للاستفادة منه في حفظ ثمار الفاكهة من العطب والتعفن . فهناك أنواع خاصة من التفاح يمكن تخزينها أو تبريدها باستخدام محلول « الفوليكوت » قبل عملية القطف بفترة وجيزة ، وذلك لمنع تسرب الرطوبة منه والحفاظ على نكهته ولذة طعمه ، ويمكن ازالة آثار هذا المحلول الشمعي عن الفاكهة بغسلها بالماء ، وبذا يصبح بالامكان توفير أنواع معينة من التفاح في الأسواق في أشهر كان توفرها فيها شبه معدوم .

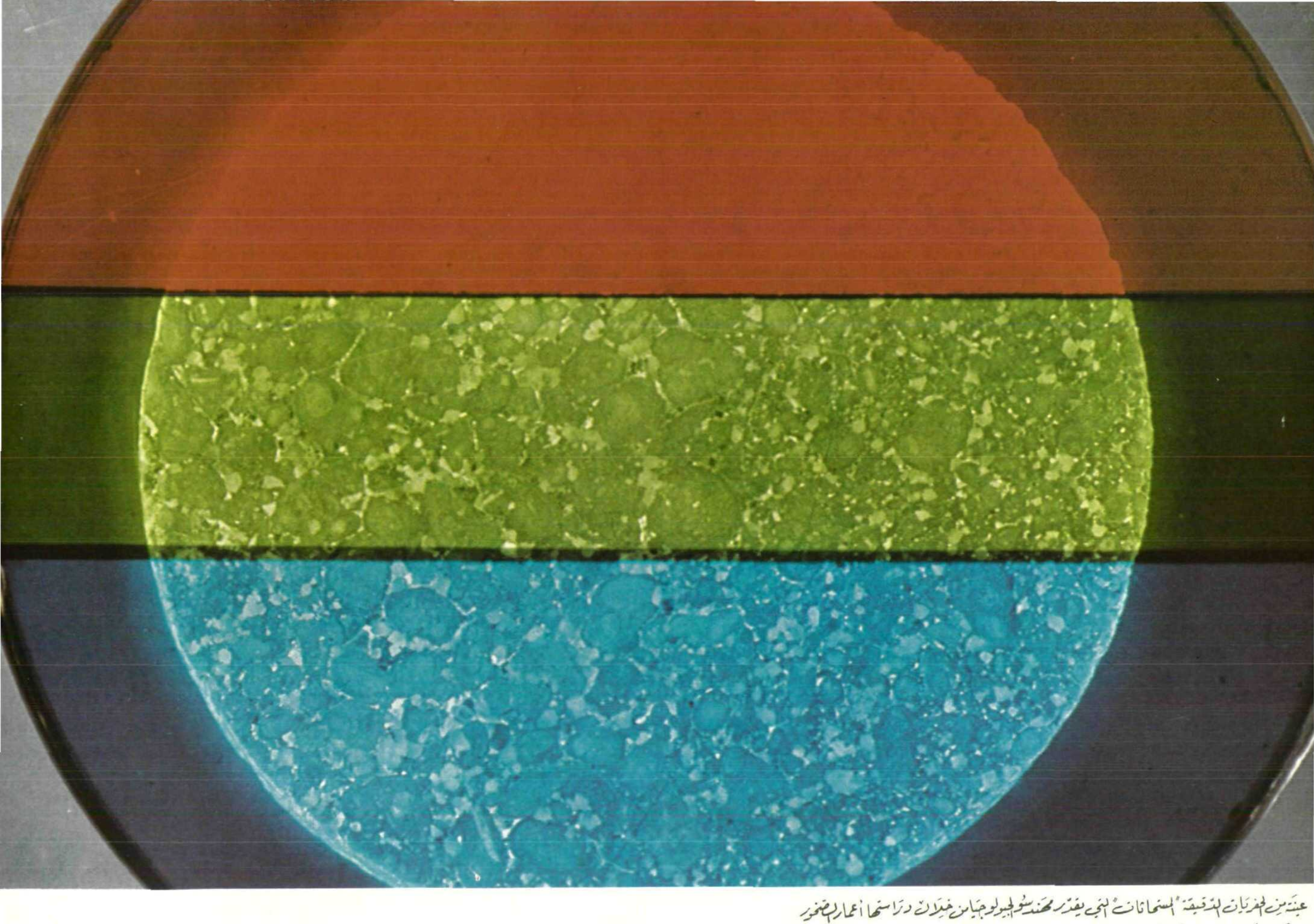
ويتوقع خبراء الزراعة أن يسهم محلول « الفوليكوت » الجديد في توفير عمليات الري على المزارعين في الأجواء الجافة ، وكذلك في المحافظة على مصادر المياه ، اذا كانت محدودة . فاذا ما استخدم « الفوليكوت » في فترات متعددة أثناء موسم زراعة بعض الحاصلات ، كالزيتون والخوخ والمشمش والكمثرى ، فقد يؤدي ذلك الى خفض عدد مرات السقاية التي يتوجب على المزارع القيام بها خلال موسم الزراعة ■

اعداد : يعقوب سلام
عن مجلة « أور صن »



غرستان من الفلفل الأخضر عولجت التي إلى اليسار منهما بمحلول «الفوليكوت» فبدت أكثر حيوية وأكبر حجماً من الأخرى..

راجع مقال «وسائل زراعية حديثة لنمو النبات». تصوير: «أورصن»



عينة من الحفريات الدقيقة "المستحاثات" التي يقدّر مهندسو الجيولوجيا من خلال دراستها أعمار الصخور التي تكون فيها الزيت، وهي مكبرة نحو ٢٥ مرة .. راجع مقال "مكامن الزيت".

تصوير : شيخ أمين